إيتشيرو كاوازاكي

اليابان
بدون نقاب

ترجمة
عبد الله مكي



ايتشيرو كاوازاكي

Ichiro Kawazaki

اليابان

بدون نقاب

ترجمة

عبد الله مكي

دار الرافد

للنشر والتوزيع

ـ لندن ـ

الكتاب والكاتب:

* اسم الكتاب: اليابان بدون نقاب. والنسخة الأصلية كتبت باللغة الإنجليزية وترجمت إلى لغات مختلفة من بينها الألمانية والبرتغالية والسويدية والفارسية.
* الكاتب: ايتشيروا كاوازاكي - Ichiro Kawazaki.
* ولد الكاتب في ١٩/٩/١٩٠٩ في مدينة اوساكا - Osaka.
* في عام ١٩٣٢، تخرج من الجامعة الأمبراطورية في طوكيو - قسم الحقوق.
* في سنة ١٩٣٢ التحق بوزارة الخارجية اليابانية وعين رئيساً للبعثة اليابانية في الأمم المتحدة في جنيف.
* بين عامي ١٩٣٣ - ١٩٣٥ م، عمل في السفارة اليابانية في لندن.
* بين عامي ١٩٣٦ - ١٩٣٧، عمل قنصلاً مساعداً في شانكهاي في الصين.
* بين عامي ١٩٣٨ - ١٩٤٠ م، عمل قنصلاً لبلاده في مدينة سان فرانسيسكو في الولايات المتحدة الأمريكية.
* بين عامي ١٩٤١ - ١٩٤٢ م، عمل قنصلاً في فانكوفر في كندا.

* بين عامي ١٩٤٢ ـ ١٩٤٥ م، عمل مسؤولاً في السفارة اليابانية في الإتحاد السوفياتي.

* بين عامي ١٩٤٦ ـ ١٩٥٢ م، عمل ضابط اتصال بين بلاده والقوات الأمريكية المحتلة.

* بين عامي ١٩٥٢ ـ ١٩٥٣ م، عمل قائماً بالأعمال في سفارة اليابان في نيودلهي في الهند.

* بين عامي ١٩٥٦ ـ ١٩٥٧ م، عمل مندوباً لبلاده في مبنى الأمم المتحدة في نيويورك.

* بين عامي ١٩٥٧ ـ ١٩٦٠ م، عمل سفيراً لبلاده ورئيساً للبعثة اليابانية الدائمة في مبنى الأمم المتحدة في جنيف.

* بين عامي ١٩٦٢ ـ ١٩٦٧ م، عمل سفيراً لبلاده في بولندا.

* بين عامي ١٩٦٧ ـ ١٩٦٩ م، عمل سفيراً لبلاده في الأرجنتين.

* بين عامي ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠، عمل مستشاراً لشركة «ميتسوبيشي ـ Mitsubishi» في طوكيو.

* منذ عام ١٩٧١ م، عمل مندوباً لشركة ميتسوبيشي في أوروبا في مدينة جنيف.

* يجيد المؤلف التحدث بلغات عديدة وهي: الفرنسية، الإنجليزية، البولندية، الصينية، الإسبانية، الألمانية والتشوكوسلوفاكية بالإضافة إلى لغته الأصلية.

مقدمة المترجم:

قد لا تكون الأسباب والمبررات التي دعتني إلى ترجمة هذا الكتاب أكثر أهمية من تلك التي دعتني إلى كتابة كتاب عن اليابان تحت عنوان «اليابان من الداخل». ففي كتابي كنت قد نقلت مشاهداتي وتجاربي وفي هذا الكتاب أنقل مشاهدات وتجارب شخص آخر. ولست أتفق مع مؤلفه في كل ما كتب إما لكوني لم أطلع على آراء تؤيد آراءه أو لأن المؤلف يطلب من اليابانيين أن يفكروا بالطريقة الأوروبية والأمريكية. بالمناسبة، عمل المؤلف في الخارج لسنوات طويلة ومارس وظائف مختلفة وأجاد لغات كثيرة كالإنجليزية والفرنسية والبولندية. فاليابانيون شرقيون ولا يمكن تجاهل هذه الحقيقة عند النظر والبحث في المجتمع الياباني. والدين يلعب دوراً هاماً في بعض أخلاقيات اليابانيين وإن كانت غالبيتهم لا تعطي اهتماماً للطقوس الدينية. والجوانب الإنسانية تنميها التعاليم الدينية لذا لا يستطيع اليابانيون التخلي عنها أو عن أكثرها وبشكل دراماتيكي إلا إذا استطاع أحد أن يستأصل تلك التعاليم من جذورها.

إن اليابان خطت خطوات هائلة وجبارة في المجالات المختلفة

عموماً والمجال الإقتصادي خصوصاً. ولا أظنها، لو أرادت أن تحقق نجاحات في المجالات المختلفة وبنفس مستوى النجاح الذي حققته في المجال الإقتصادي، عاجزة عن ذلك. إلا أن لكل شيء ثمناً وثمن النجاحات الأخرى العسكرية والسياسية مثلاً سوف يكون باهظاً وعلى حساب النجاح الإقتصادي. وهذا في ظني هو الذي يمنع اليابانيين من طرق أبوابه. ولهم في ما تعاني منه الولايات المتحدة والإتحاد السوفياتي القدوة والنموذج.

إن النجاحات التي حققتها اليابان في فترة زمنية قصيرة قد تلغي كثيراً من أفكار المؤلف وهنا تكمن قيمة هذا الكتاب. فاليابانيون يعيشون الحاضر ويتذكرون الماضي ويبنون للمستقبل. إنهم يبتكرون للقرن الحادي والعشرين وكأنهم يعيشونه. وقد كان معرض «تسوكوبا ـ ٨٥» خير شاهد على ذلك.

وشعوب الشرق مدعوة إلى دراسة التجربة اليابانية وهي الأقرب إليها إذ بين هذه الشعوب والشعب الياباني نقاط كثيرة مشتركة. وعلى رأسها أن الشعب الياباني هو شعب آسيوي يتغذى على الأرز وكائنات البحر وأسماكه تماماً كما تفعل غالبية الشعوب الآسيوية. وإذا كانت كثير من البلدان الآسيوية تمتلك المعادن والنفط والمصادر الطبيعية الأخرى فإن اليابان لا تمتلك إلا ثروة واحد وهي الثروة الحقيقية، إنها الإنسان.

قبل الختام لا بد من ذكر ملاحظة جديرة بالاهتمام وهي أن الأرقام والإحصاءات التي جاء المؤلف على ذكرها هي في الغالب

أرقام وإحصاءات صحيحة في وقت وزمن تأليف الكتاب. وأن المقارنة بينها وبين الإحصاءات الحاضرة والتي تنقلها أجهزة الإعلام المختلفة دليل على جدية اليابانيين في التعامل مع الزمن.

عبد الله مكي

جمادى الأول ١٤٠٩ هـ

ديسمبر ١٩٨٨ م

هل يفكر اليابانيون كما يفكر أطفال الثانية عشرة؟

شعب أطفال الثانية عشرة:

ينقل عن الجنرال «ماك أرثر» الذي حكم اليابان لمدة سبع سنوات (بعد الحرب العالمية الثانية) أنه قال: إن عقل وتفكير الشعب الياباني لا يختلفان في مستواهما عن عقل وفكر الأطفال في سن الثانية عشرة.

لقد أوجدت هذه المقولة حقداً وبغضاً وانتقاداً من قبل اليابانيين ضد الجنرال. وينقل أن الجنرال نطق بهذه المقولة في اجتماع خاص له مع بعض الأمريكيين إلا أن سر هذه المقولة المغلوطة أخذ في التسرب شيئاً فشيئاً مما أفقده، أي الجنرال، حب الشعب الياباني.

لقد كانت الطبقة الوسطى اليابانية تنظر إلى الجنرال كرجل عطوف ومؤدب لا كمستعمر لأنه كان يحكم اليابان بشكل غير

تعسفي. إلا أن تلك النظرة سريعاً ما تغيرت عندما سمعت تلك الطبقات بمقولته نحو الشعب الياباني. لقد كانت مقولة الجنرال مبعث استغراب وتأثر مما دعى اليابانيون إلى التفكير في أنه، أي الجنرال، لم يكن يعتمد عليهم وما مقولته إلا دليل واضح على ذلك.

أسئلة الشعب الياباني للغربيين:

يتعرض أغلب الغربيين عند زيارتهم لليابان إلى أسئلة من قبيل: هل رأيتم جبل فوجي؟ هل ذهبتم إلى بلدة «نيكو»[1]؟ هل رأيتم بنات الجيشا؟ وأسئلة أخرى مماثلة.

إن أغلب الأجانب الذين شاهدتهم في اليابان والذين تعرضوا لمثل تلك الأسئلة كانوا مستائين منها إذ كانت بدون معنى وصبيانية. وعندما فكرت في المشكلة توصلت إلى سبب بسيط جداً لها وهو: يعاني اليابانيون بشكل عام من عدم معرفتهم باللغة الإنجليزية مما يصعب عليهم التحدث مع الأجانب وتبادل الأفكار معهم، لذا يلجأون إلى طرح أسئلة بسيطة يمكن التعاطي معها. ونتيجة لذلك فإن الياباني لا يمكنه أن يقيم علاقات أو يوسعها مع الأجانب إذا لم يكن قادراً على التحدث بلغة أولئك بصورة مريحة.

---

(١) نيكو بلدة صغيرة تقع على مسافة (١٤٠) كيلومتراً شمال طوكيو وبها معبدان باسم «توشوجو» ومعابد أخرى على الطراز الصيني. (المؤلف).

ففي أغلب الجلسات التي يكون طرفاها يابانيين وأجانب كنت أعمل كمترجم بين الطرفين وكنت أجد عدم الارتياح من الجانب الياباني عندما يراد منه الإجابة على أي سؤال يطرح من الجانب الخارجي. إن السبب الواقعي وراء ذلك الارتباك لا يعود إلى كون الياباني يعاني من مشكلة فكرية وإنما السبب يعود إلى أنه، أي الياباني، يعاني من حالة خجل عندما عندما يكون أمام الأجانب. أما إذا حضر اليابانيون مع بعضهم البعض من دون أن يكون بينهم أجنبي فإنهم يعبرون عن أفكارهم بكل سهولة وبكامل قواهم العقلية والفكرية.

اليابانيون ليسوا ممتعين في أول حديث:

باستثناء بعض اليابانيين الذين يجيدون لغة أجنبية فإن الغالبية لا يعطون انطباعاً جيداً للأجنبي وذلك من أول حديث معهم. من هنا يتوجب على أي أجنبي أن يعي هذه المشكلة (عدم إجادة لغة أجنبية من جانب غالبية اليابانيين) وأظنه يحتاج إلى مدة كافية لذلك.

بالإضافة إلى ذلك فإن اليابانيين، في الغالب، يحبون الضيافة ويظهرون احتراماً خاصاً للضيوف. وهناك مثل رائج بين اليابانيين «أدخل قاعة الطعام حتى وإن لم تأكل شيئاً». والمعنى الحقيقي لهذا المثل هو أنه: مهما كان الطعام لذيذاً ومتنوعاً فإنه لا يقاس بقيمة الضيف. إن التواضع وقلة الكلام عند الياباني يشكلان استغراباً وحيرة عند الأجنبي خصوصاً عندما يسمع ذلك المثل.

أما لماذا يختار اليابانيون مثل هذه المواضيع والمناقشات الصبيانية في أحاديثهم مع الأجنبي؟ بشكل عام، فإن الشعب الياباني يعتبر شعباً مغروراً وتقليدياً وبسيطاً أو ساذجاً وخرافياً، من هنا فإنه يؤمن بأن جبل فوجي هو أعلى جبال العالم وأعظمها. وحسب التقاليد اليابانية فإنه لا ينبغي لأي أجنبي أو خارجي أن يتجاوز ما يفكر فيه اليابانيون أو يرى غيره.

وفتيات الجيشا هن، مضيفات بيوت حفلات الشاي (البيوت: محلات يابانية تقليدية نابعة عن التقاليد والسنن اليابانية) لذا فإن اليابانيين يعتقدون بل ويأسفون لأي أجنبي يأتي إلى اليابان ولا يتمكن من مشاهدتهن. وفي الوقت الحاضر، يحتاج أي أجنبي راغب في مشاهدة فتيات الجيشا إلى مبالغ كبيرة لكي يتمكن من التمتع بخدماتهن.

طوكيو أسوأ عاصمة في العالم:

بعد مشاهدتي لكثير من عواصم العالم، تأكد لي أن طوكيو هي واحدة من أسوأ عواصم العالم. وعلى الرغم من الإنشاءات الحديثة والتجديد الذي حصل فيها، تبقى طوكيو عاصمة سيئة. وكثير من اليابانيين لا يعلمون حقاً أن طوكيو مدينة غير جميلة وأن كل أجنبي يأتي إليها لا تغره. ويظن اليابانيون أن الغربيين يمتلكون مواقف مسبقة حول اليابان وأنه إذا أمكن تغيير تلك المواقف فإنهم سوف يكونون إلى جانب اليابان واليابانيين.

ومن الواضح أن عدم الاطلاع والمعرفة بأي موضوع هو السبب في إصدار الأحكام الغير موضوعية تجاه اليابانيين واليابان. بالطبع ليس كل شيء هو في كون الأجانب الذي يحضرون إلى اليابان لا يعجبهم أي شيء فيها وإنما هناك أمور أخرى كالاعتقاد الأبله والتقليدي عند اليابانيين والرائج بينهم وهو أن الأجانب يمكن أن يغيروا من مواقفهم تجاه اليابانيين إذا ما حضروا إلى اليابان ورأوها عن قرب. لهذا نجد كثيراً من المؤسسات العامة والخاصة تخصص مبالغ كبيرة من أجل دعوة الأجانب لزيارة اليابان ورؤيتها عن قرب.

وهذه العادة الصبيانية عند اليابانيين واضحة وجلية ويمكن ملاحظتها في وسائل النقل العامة خصوصاً القطارات إذ يتم الإعلان عبر مكبرات الصوت عن المحطة القادمة وبشكل مفاجيء. فمثلاً يمكن سماع الجملة التالية «المحطة القادمة هي ناجويا» وجملة «الرجاء من المسافرين الذين سوف يغادرونا في هذه المحطة أن يصطحبوا معهم أمتعتهم وأن لا ينسوها» أو جملة «نرجو المعذرة لازدحام القطار» و «أثناء حركة القطار، حذار من السراق».

أما في قطار الأنفاق في طوكيو «الميترو» فيمكن سماع الجمل التالية: «أنتم الآن في محطة شيبويا، الرجاء من الراغبين في الذهاب إلى شينجوكو أن يتجهوا إلى السلم الذي يمكنهم من تغيير قطارهم» و «هناك فاصلة بين عربات القطار والمحطات لذا نرجو الانتباه لها عند النزول والصعود».

بالطبع، قد تكون تلك الإعلانات مفيدة ولكنها في الغالب كثيرة وبالتالي تؤدي إلى تعب الأعصاب وإتلافها.

وأسباب وجود مثل تلك الإعلانات كثيرة جداً منها: إن اليابانيين مؤدبون ويراعون حسن الأخلاق إلى حد الإفراط كما يعلمون ذلك لبعضهم البعض. بالإضافة إلى الازدحام المفرط في وسائل النقل وخصوصاً القطارات وقطارات تحت الأرض «الميترو» مما يدعو إلى التركيز بشكل دائم بالمحطات القادمة. وهناك سبب آخر وهو أن اليابانيين يحترمون الحياة الاجتماعية والعمل الجماعي مما يستدعيهم إلى تذكير بعضهم البعض بما ينبغي أن يفعله كل واحد منهم[1].

اليابانيون شعب بسيط:

لا شك في أن اليابانيين، بشكل عام، أناس بسطاء، لأنهم وعلى مدى تاريخهم الطويل كان اختلاطهم بالأجانب قليلاً. وإضافة إلى ذلك وعلى الرغم من تعلمهم ميزات وصفات جيدة بسبب

---

(١) يمتاز المجتمع الياباني بمستو عال من العدالة الاجتماعية، كما أن نسبة البطالة متدنية جداً فيه مما يقلل من احتمالات الاختلاس والسرقة. ولقد أمضيت قرابة السبعة أشهر في مدن مختلفة من اليابان وخصوصاً طوكيو ولم أتعرض لحالة اختلاس مع العلم أني كنت من مستخدمي القطارات صباحاً ومساءً (Rush-hour)، كما أنني لم أسمع بترديد جملة «أثناء حركة القطار، حذار من السراق». (المترجم).

عيشهم في جزر ضيقة وشحيحة الموارد إلا أنهم أفرطوا فيها مما أدى بأفكارهم إلى أن تكون صبيانية قليلاً.

في الآونة الأخيرة، دعت إحدى الشركات اليابانية أحد زملاء المهنة الإنجليز من أجل السياحة والنزهة في الأراضي اليابانية وتكفلت وحسب المعتاد بدفع جميع تكاليف الرحلة.

وفي طوكيو، مرض الضيف الإنجليزي (الضيف مصاب بمرض السكر المزمن) وأدخل واحداً من أحسن المستشفيات فيها للعلاج. وعندما سمعت زوجته بذلك، وقد كانت في أستراليا، حضرت على الفور على متن طائرة إلى اليابان. وفي المستشفى، وضع الأطباء للمريض نظاماً غذائياً دقيقاً. ولكن زوجته وبدون أن تخبر الأطباء، قامت بإعطائه بعض الأطعمة الممنوعة فتدهورت صحته وبعد مدة مات. وألقت بالمسؤولية في موت زوجها على المستشفى ولامت الشركة التي لم تهتم بصحته. أما مسؤولي الشركة فلم يحتجوا على الزوجة التي قامت بإعطاء زوجها أطعمة كانت ممنوعة عليه أثناء وجوده في المستشفى. بالطبع، لم يقتصر الأمر على ذلك بل قامت الشركة بدفع مبلغ ضخم للزوجة كتعويض عن موت زوجها.

وتسير إلى جنب هذه البساطة في الأخلاق العواطف الخاصة للياباني إذ أنه تعلم أن يكون شاكراً لكل من أسدى له خدمة، بل إنه يعتبر نفسه مديوناً له وعليه أن يؤدي ذلك الدين كلما سمحت الفرصة بذلك.

اليابانيون عاطفيون :

واليابانيون عاطفيون بلا حدود فمثلاً إذا ما فاز أحد اليابانيين في إحدى المسابقات فإن المتفرجين تمتليء أعينهم بالدمع إلى حد البكاء كما أن اللاعبين يبكون ويشعرون بالأسى فيما لو انهزموا في إحدى المسابقات.

ولن أنسَ ذلك المنظر الذي كان للفتيات الشابات اليابانيات اللاتي كن يعملن في بيوت العائلات الأمريكية أثناء الإحتلال الأمريكي لليابان. لقد تجمعن في محطة سنراي للقطارات ليودعن العائلات الأمريكية اللاتي كن يستخدمنهن للعمل لديهن. لقد كانت عيونهن تفيض بالدمع من شدة البكاء والعويل. وعندما بدأ القطار بالابتعاد شيئاً فشيئاً تحولت المحطة إلى مأتم حتى لتحسب أن هؤلاء الفتيات فقدن أعزاء عليهن وإلى الأبد.

والحق أني رأيت بعض النساء الأمريكيات وقبل حركة القطار يلاطفن ويدللن الفتيات اليابانيات ويطلبن منهن الكف عن البكاء تماماً كما تفعل الأمهات مع بناتهن عندما يطلبن منهن لزوم الهدوء والسكينة.

بعد مشاهدة هذا المنظر ألا توافق الجنرال ماك آرثر في نظرته تجاه اليابانيين بأنهم «يفكرون كما يفكر أطفال الثانية عشرة».

إحساس اليابانيين تجاه الغربيين :

بغض النظر عما قاله الجنرال «ماك آرثر» فإن اليابانيين يعانون

من عقدة الحقارة أمام الأجانب وخصوصاً الأوروبيين. بل ويؤثر هذا الإحساس كثيراً في أخلاقياتهم ويظهر جلياً في مسيرة حياتهم اليومية:

قالت لي زوجتي عن حادثة شاهدتها على إحدى الطائرات اليابانية وهي في طريقها من طوكيو إلى إحدى الدول الأوروبية. قالت كان أحد الإنجليز يجلس في مقعد قريباً من مقعدي. وقد حضرت المضيفة اليابانية على الفور عنده وسألته فيما إذا كان يرغب في مرطبات وطعام وسجائر؟ ولكن على الرغم من ذلك إلا أن هذا الإنجليزي لم يكن راضياً. نعم إن الدعاية التي تتحدث عن حسن الضيافة على متن الطائرات اليابانية هي صحيحة ولكنها ليست من نصيب اليابانيين وإنما من نصيب المسافرين الغربيين.

وإذا ما سأل أحد الغربيين من ياباني أن يدله على الطريق فإن هذا الياباني يبذل كل ما في وسعه وطاقته من أجل مساعدته. بالطبع، هذا العمل من مظاهر حسن الخلق ومقدس في جميع بقاع الدنيا ولكن اليابانيين سريعو التسليم جداً للرغبات الأجنبية كما أنهم يتنازلون لتهديداتهم.

في عام ١٩٦٤ م أقيمت دورة الألعاب الأولمبية في طوكيو. وقد قامت اللجنة المسؤولة بتوزيع برنامج الدورة والمطبوع باللغة الإنجليزية على الرياضيين والبعثات المختلفة ولكن الفرنسيين اعترضوا على ذلك ورفضوا قبول الأوراق المطبوعة باللغة الإنجليزية

على اعتبار أن لغتهم هي الأخرى عالمية. وبالفعل قامت اللجنة المسؤولة عن الدورة بترجمة برنامج الدورة إلى اللغة الفرنسية ووزعته بين الفرنسيين. بالطبع، أنا لا أعرف فيما إذا كان من ضمن الأنظمة المعمول بها في الألعاب الأولمبية أن يكون برنامجها مترجماً إلى اللغة الفرنسية أم لا إلا أنني متأكد بأن هذا الاعتراض لو وقع في بلد آخر غير اليابان فإنه لن يعطى أي اهتمام ولن يقبل. بل إنني متأكد من أن أصل البرنامج سوف يلغى فيما لو حدث مثل هذا الاعتراض في دولة أوروبية أو في أمريكا إلا أن اليابانيين سلموا للفرنسيين واعتذروا منهم وقاموا بترجمة البرنامج إلى اللغة الفرنسية.

البساطة وحسن الأخلاق عند اليابانيين جعلتا الآخرين يسيئون استغلالهم، بل وفي كثير من المواضع يحس اليابانيون أنهم صاروا أطفالاً وحمقى أو بلهى.

تغرب اليابانيين:

عند اليابانيين عادة وهي أنهم يصدقون كل ما ينقله لهم الغربيون ولذلك يلجأ العلماء اليابانيون إلى ذكر أسماء الكتاب الغربيين والاستشهاد بأقوالهم في كتاباتهم من أجل أن تحوز كتاباتهم على أهمية أكبر ومكانة أحسن. وكذا بالنسبة لأي محاضر يريد أن تكون محاضرته مقبولة عند مستمعيه، فإنه يلجأ إلى نقل بعض الأقوال لأحد العلماء الغربيين أو الأمريكيين.

وبعد الحرب العالمية الثانية، لم يعد اليابانيون يولون احتراماً وقدسية للأمبراطور. وقبل سنوات، قامت إحدى الصحف الإنجليزية بنشر كتاب حول الأمبراطور هيروهيتو وبالرغم من أنه لم يكن يحتوي على جديد إلا أنه ترجم إلى اللغة اليابانية وبيعت منه كميات ضخمة جداً بحيث أصبح الكتاب الأكثر مبيعاً في اليابان كما أصبح الأمبراطور حديث كل ياباني. والسبب واضح وهو أن الكاتب كان غربياً.

بعض الصحف اليابانية وقعت عقوداً خاصة مع الـ «تايمز» اللندنية والـ «نيويورك تايمز» الأمريكية على طباعة مواضيعها. بالطبع، دفعت الصحف اليابانية كثيراً في مقابل تلك المواضيع إلا أن مبيعاتها ازدادت وأصبحت أحسن وسيلة لزيادة توزيعها. ويبدي اليابانيون اهتماماً واحتراماً خاصين للمقالات الإنجليزية أو الأمريكية كما أنهم يولون المقالات التي يكتبها مراسلو الصحف اليابانية والمقيمين في لندن ونيويورك اهتماماً عظيماً.

وهذه البساطة والسرعة في التصديق هما ولا شك نتيجة للاحترام الأعمى عند اليابانيين للغربيين والناتج عن الإحساس بعقدة الحقارة تجاههم وهذا دليل على الحالة الطفولية لأفكار اليابانيين. واليابانيون الذين تعودوا العقوبة من قبل عائلاتهم والمجتمع لا يمكنهم أن يربوا في أنفسهم الاستعدادات الشخصية كما يفعل الغربيون. كما أنه يمكن القول أن اليابانيين لا يمتلكون اعتقادات قوية مما يجعلهم يخضعون لما يقوله الآخرون. ومن هنا فإنهم

عندما يذهبون إلى بلد غربي فإنهم يعشقون كل شيء فيه. وكثير من اليابانيين الذين أقاموا لمدة في فرنسا اكتسبوا العادات الفرنسية. وأنا أعرف الكثير من هؤلاء اليابانيين والذين يتحدثون بالفرنسية بكل غرور وتكبر كما يغنون أغان فرنسية وعندما يعودون إلى اليابان فإنهم يضعون على رؤوسهم قبعات الباسك والتي عادة ما تلبس في فرنسا من قبل الفرنسيين.

والفرنسيون كما بقية الشعوب الأخرى التي يمتلك أفرادها صفات روحية وفردية قوية هم موضع احترام من قبل اليابانيين الذين هم، بشكل دائم، يخافون أن يكونوا محل استهزاء داخل مجتمعهم. لهذا فإن أي ياباني يذهب إلى أي بلد أوروبي مثل فرنسا ويستنشق هواء الحرية التي لم يستنشقها حتى الآن لا بد أن يتقبل نمط الحياة فيها.

وكثير من زملائي في وزارة الخارجية عندما يذهبون إلى بريطانيا في مهمات رسمية، فإنهم يعشقون نمط الحياة الإنجليزية كما يضعون على رؤوسهم نوعاً من القبعات الملونة ويحملون مظلات صنعت خصيصاً للأجواء الإنجليزية ويداومون على قراءة صحيفة التايمز اللندنية.

اليابانيون يعشقون كل جديد بسرعة:

شيئاً فشيئاً، سيلف اليابان كلها جنون مفاجيء مثل شيوع أحد الأمراض السارية. هذا الجنون يتمثل في حب امتلاك الزهور النادرة

وجمع قطع النقد القديمة أو قطع الأثاث الأوروبية العتيقة. في الفترة الأخيرة شاع بين اليابانيين حب الأحجار لتزيين المباني فأخذوا يجمعونها من كل مكان ويجلبونها لليابان بأشكال وألوان مختلفة. إن هذا الهوس بين اليابانيين يشبه إلى حد ما النار في الهشيم أي أنها سريعاً ما تشعل وسريعاً ما تخمد، أو كمثل العاصفة الليلية التي يتبعها صباح هادىء.

والتقليد من الأمور الشائعة بين اليابانيين، خصوصاً تقليد الغربيين، والسبب في ذلك يرجع إلى فقدان الشخصية الفردية المستقلة عندهم. والدليل على ذلك هو فساد اللغة اليابانية إلى درجة كبيرة وذلك من خلال إدخال كلمات إنجليزية ومصطلحات في شتى المجالات السياسية والفنية والإعلامية والغذائية والرياضية. وتستخدم تلك الكلمات والمصطلحات باللهجة اليابانية وتكتب بالحروف اليابانية كذلك.

واليابانيون لم يكونوا على طول تاريخهم صادقين مع ثقافتهم، بعد قبولهم إياها من الصين. ويظهر ذلك من خلال أثر الغربيين عليهم وهبوط مستوى مفردات اللغة اليابانية. وفي نظر أحد الغربيين أن عشق اليابانيين للمفردات الإنجليزية هو دليل على بساطتهم وسذاجتهم.

حفظ الأسرار اليابانية:

من غير الممكن، في الوقت الحاضر، حفظ الأسرار والسبب

يعود إلى فقدان الشخصية الفردية. وكثير من المعلومات السرية جداً وذات القيمة العالية تذاع وتكشف لأن الذين يمتلكونها أو يعرفونها لا يمكنهم الحفاظ عليها فهم ضعفاء في هذا الجانب. وبما أن القانون الذي يمنع نشر الأسرار وإفشائها لم يوافق عليه فإنه لا سبيل لمنع إفشاء الأسرار من قبل اليابانيين.

بعد سنة ١٩٤٥ م، استقر المقام برئاسة القوات الأمريكية في يوكوهاما. وفي إحدى الجلسات، طرح الجنرال ماك آرثر فكرة إقامة حكومة عسكرية وإحلال عملة جديدة ورقية بدلاً عن العملة اليابانية «الين» كما طرحت فكرة إيجاد محاكم عسكرية في كل أنحاء اليابان. لكن المسؤولين اليابانيين تباحثوا مع الجنرال ماك آرثر حول إلغاء هذه الأمور على اعتبار أنها سوف تترك آثاراً سيئة على اليابانيين. بالطبع وافق الجنرال على الطلب الياباني على أن يكون أمر تلك المباحثات سرية وكذا عدم إجرائها. ولكن بعد فترة من إجراء تلك المباحثات انتشر أمرها في الصحف الأمريكية عن طريق بعض الصحفيين الأمريكيين الذين اتصلوا بصحفهم في أمريكا. بالطبع، الحكومة الأمريكية، رفضت الاتفاق ووبخت الجنرال على فعلته. بعدها قال الجنرال لأحد المقربين منه أنه لن يعتمد على أي من اليابانيين لأنهم لا يحفظون الأسرار. وفعلاً، فقد وفّى بعهده مع نفسه، فلم يلتقِ مع أي من الوزراء اليابانيين طيلة وجوده في اليابان ولمدة سبع سنوات.

اليابانيون كرماء، ودودون وأذكياء:

اليابانيون، وحسب التقاليد، هم أناس ودودون وكرماء وجلدون وصبورون وأذكياء، وفي أغلب الأوقات، ونتيجة لعدم القدرة على التمييز يقعون في أخطاء.

وبسبب حالة الانزواء والانغلاق التي عانوا منها لقرون، فإنهم لا يعتمدون على أنفسهم خصوصاً في علاقاتهم مع الأجانب. وبما أنهم شعب جزر بعيدة عن بقية بلدان العالم ومنغلقة على نفسها فإن أخلاقهم بقيت صافية ولذا فإنهم ينظرون إلى بقية الشعوب بنفس النظرة التي ينظرونها إلى أنفسهم. من هنا، فإنهم في تفنيدهم للناس يقعون في أخطاء.

أما الجانب السياسي، فإن اليابانيين يفتقدون الدراية والمعرفة فيه تماماً. لذا فإنهم يغرقون الشعب بالأحاديث مما يجعلهم، أي أفراد الشعب يقعون في أخطاء سياسية.

كما أن أكثرية الشعب الياباني تفكر في تحقيق المكانة التاريخية لليابان في آسيا لهذا يحاول السياسيون اليابانيون طرح الشعارات في هذا المجال في حين أن الشعب لا يدعم سياساتهم هذا من جانب ومن جانب آخر إن هذه الشعارات خارجة عن قدرتهم وسيطرتهم. وسواء عاجلاً أو آجلاً فإن مصير هذه الشعارات النسيان. ولا ننسى أن ماك آرثر حكم اليابان بعد هزيمتها العسكرية وقد كان اليابانيون لا يتصورون أن يحكموا من قبل الأجانب خصوصاً مع تشكيلة بلدهم الجغرافية المكون من مجموعة كبيرة من الجزر. ففي القرن الثاني عشر الميلادي فشلت حملة التتار ضد اليابان بسبب غرق جيشهم

العظيم في مضيق كوريا من جراء الطوفان الشديد. وأدى ذلك إلى تقليل اهتمامهم بقوة بلدهم. وماك آرثر عندما حكم اليابان لم يواجه بأية مقاومة من اليابانيين وإنما كان يمارس سلطته بكل سهولة حتى بدا وكأنه أمبراطور مطلق الطاعة. وقد نقل عن الأمهات اليابانيات أنهن كن يخوفن أطفالهن بالجنود الأمريكان. وفعلاً كان الأطفال يسكتون عند سماعهم ذلك وقد كان ذلك في أول أيام الإحتلال الأمريكي لليابان. وأنا شخصياً وفي أحد الأيام رأيت تجمعاً كبيراً أمام أحد المسارح وقد كانوا يقرأون إعلاناً كتب فيه «إن عرض هذه المسرحية هو بإجازة خاصة من قبل الجيش المحتل». وكان اليابانيون يهزون رؤوسهم بالإيجاب بشكل دائم كلما تحدث لهم الجنرال ماك آرثر ولم يكن حديثه موضع جدال أبداً حتى وإن لم يكن منطقياً أو موافقاً للعقل. من هنا خرج الجنرال بنتيجة أن اليابانيين هم شعب يفكر بعقلية الأطفال كما أنهم شعب ليسوا قادرين على أخذ حقوقهم.

وبعد عشرين سنة من تاريخ الهزيمة في الحرب العالمية الثانية وبالرغم من المكاسب التي حققها اليابانيون طيلة هذه المدة إلا أن أكثرهم لا يزالون يعتقدون بتفوق الغرب. بالطبع هناك توقع بأن تتغير نظرتهم إلى أنفسهم وللغربيين كلما حققوا تقدماً مما سيزيد في اعتمادهم على أنفسهم.

هكذا هم اليابانيون

اليابانيون قصيرو القامة :

في نظري «المؤلف» ليس اليابانيون بأجمل من أي شعب في العالم ما عدا البيجمة والهوتانتو.

ويشبه اليابانيون المغول إذ يمتلكون قيافة مستوية بدون أي نتوء أو بروز ووجنات ناتئة وأعين معوجة ضيقة. أما الهيكل العام فليس متناسقاً إذ الرأس يبدو كبيراً والسيقان قصيرة ومقوسة. وعند مقارنة اليابانيين بكل من الصينيين والكوريين نجد أن اليابانيين قصار القامة بالمقارنة مع الآخرين. ويصف الصينيون اليابانيين بـ «الأقزام» أو بقصار القامة. ويحكى في تاريخ شرقي آسيا وخصوصاً تاريخ الصين وسيام أن سراق الفاكهة وقطاع الطرق هم قصار القامة أو الأقزام.

وفي الوقت الحاضر يصل إلى اليابان الكثير من السواح الأوروبيين عبر الجو وفور وصولهم إلى مطار طوكيو يلاحظون أن شعب اليابان هم من الأقزام أو من قصار القامة.

أما الهنود والباكستانيون فهم من شعوب آسيا ولكن فيهم شيئاً من الآرية أو العنصر الآري إلا أنهم يشعرون بعقدة الحقارة أمام الغربيين، بينما يشعرون بالغرور أمام اليابانيين.

في السنوات الأخيرة ازداد الحديث حول التمييز العنصري في أمريكا تجاه الزنوج وفي جنوب أفريقيا تجاه السكان الأصليين السود. إلا أنهم، أي الزنوج الأمريكيين والسكان الأصليين في أفريقيا الجنوبية، يمتلكون قامات طويلة وأبدان سوية وجاذبية جنسية أكثر من اليابانيين[١].

اليابانيون شعب فتي دائماً:

يظهر على اليابانيين، رجالاً ونساء، أنهم أصغر من أعمارهم الحقيقية، كما ويصعب على الأجانب أن يخمنوا أعمارهم. وبشكل عام يمتلك سكان المشرق وجوهاً شبابية وخالية من التجاعيد.

واليابانيون وعلى العكس من الغربيين ليسوا مبْتَلَوْن بالشيخوخة

(١) قد ترجع عادة استخدام مساحيق التجميل والمكياج من قبل النساء اليابانيات وبشكل دائم إلى فقدانهن الجمال الطبيعي. بعض المتتبعين لعادات الشعب الياباني يرجعون استخدام المكياج ومساحيق التجميل من قبل اليابانيات إلى تعاليم بوذية إذ أن هذه التعاليم تحتم عليهم الظهور بمظهر جميل وجذاب ـ بالطبع هذه التعاليم خاصة بزينة المرأة لزوجها لا لغيره ـ حتى لا يتسببن في خيانات زوجية. (المترجم).

المبكرة وأحد الأسباب في نظري «المؤلف» يرجع إلى روحيتهم. وحسب تعليمات الديانة البوذية فإنه يجب الاعتدال في الشهوات. كما أن اليابانيين يمتلكون بشرة لامعة وهذا اللمعان قد يكون من الأسباب الأساسية لظهورهم بمظهر الشبابية. من هنا، فإن أي غربي يريد أن يعين عمر أحد اليابانيين عليه أن يضيف خمس عشرة سنة إلى العمر الذي خمنه. أما اليابانيون فمن السهل عليهم أن يعينوا الأعمار الواقعية لبعضهم البعض.

وفي السنوات الأخيرة، تحسن المظهر الخارجي لليابانيين من جراء استعمال الكراسي للجلوس وتناول الأطعمة المتنوعة وتغيير أنماطهم الحياتية. وطبقاً للإحصاءات الأخيرة التي أجريت فإن شباب الطبقة المتوسطة زاد طولهم (٣ سم) بعد الحرب العالمية الثانية وكذا زادت أوزانهم بنفس النسبة. أما ونتيجة لضيق المسكن والجهود التي يبذلها الطلاب في الدراسة من أجل الالتحاق بالجامعات فإنه من المحتمل أن تكون أجسام الأجيال القادمة اليابانية نحيفة.

وقد دق بسمارك، مستشار ألمانيا، جرس الخطر أي خطر الجنس الأصفر عندما انتصر اليابانيون الحقراء على الروس في الحرب العالمية الأولى.

ما هي عواقب منع اليابانيين من السفر؟

في أوائل القرن العشرين، زاد عدد المهاجرين اليابانيين إلى

أمريكا وخصوصاً إلى ولاية كاليفورنيا. بعد ذلك وضعت ولاية كاليفورنيا قانوناً ينص على إخراج اليابانيين ونتيجة لذلك منعت أمريكا اليابانيين من الهجرة إليها. بعض كتاب التاريخ يرجعون تسلح اليابانيين ونشوب الحرب في المحيط الهادي إلى منع الحكومة الأمريكية لليابانيين من الهجرة إلى أمريكا.

واليابان هي أول دولة طلبت من مؤتمر فرساي في سنة ١٩١٨ م العمل على رفع التمييز العنصري. وقد لا يخطر على بال أحد مثل ذلك. وعلى الرغم من أن اقتراح اليابان لم يتحقق إلا أنه ولا شك يشكل النواة لما حدث بعد ذلك في هذا المجال. بالطبع هذا الموضوع، أي التمييز العنصري، له ارتباط كبير بالطبيعة الإنسانية وأن الأنانية وحب الذات هما مصدران من مصادر مثل هذه المشكلة «التمييز العنصري».

والتعصب العنصري عند الغربيين قد بلغ مبلغاً عظيماً منهم حتى أصبح من غير الممكن التخلص منه بسرعة. لذا فأنا أعتقد بأن اليابانيين وبالرغم من تمتعهم بالذكاء إلا أنهم وبشكل دائم يعانون من مشكلة عدم المساواة مع الغربيين. أحد الإنجليز والذي كان قبطاناً لسفن تجارية ويعيش في يوكوهاما بعد تقاعده قال لي «المؤلف» بأن الإنجليز الذين يعيشون في نفس المدينة طردوه من بينهم لا لشيء وإنما لكون زوجته يابانية.

ولا يمكن لأحد أن يحكم على العداوة والخصومة اللتين يكنهما الغربيون للشعب الياباني وترجعان كما يبدو لعدم الإطلاع من قبلهم

حول اليابانيين. وقد تكون هناك صداقة بين يابانيين وأوروبيين أيام الطفولة ولكن ما إن يشب الجميع حتى تبدأ العداوة والخصومة من قبل الغربيين تجاه أصدقائهم اليابانيين والسبب في ذلك يعود إلى تفكير الغربيين بأن مصالحهم في خطر من قبل اليابانيين. إنهم سريعاً ما ينسون أيام الطفولة.

أحد أصدقائي «المؤلف» الذي كان يعيش مع عائلته في برلين حكى لي قصة وقعت لابنته في المدرسة. لقد قال أن ابنته كانت تجيد اللغة الألمانية بشكل جيد جداً حتى أن لكنتها كانت ألمانية. ولم تكن تشعر بأي مشكلة في لغتها أو في علاقتها مع زملائها في المدرسة. وفي أحد الأيام عادت إلى البيت وأخذت تبكي لمدة طويلة ثم أخبرت أمها بأنها لن تعود إلى المدرسة أبداً لأن زملائها في الفصل قد طردوها منه.

ويشارك موسيقيون يابانيون أمثالهم في العالم في المهرجانات العالمية للموسيقى، بل وإن أعدادهم تزداد يوماً بعد آخر. قبل سنوات قليلة حصلت إحدى الفتيات اليابانيات على جائزة في مهرجان وارسو الموسيقي. فتاة أخرى يابانية قالت بأن الانسجام كان يلف المتفرجين والعازفين ولكن قبل أن يعرفوا أن بين المشاركين أحد اليابانيين. بعد ذلك ظهر عدم الارتياح على المتفرجين إلى حد الاضطراب مما دعا أحدهم إلى التصريح بالمثل القائل «الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا».

ولسوء الحظ أن مثل هذه الوقائع كثيرة إذ يظهر فيها الغربيون

تعصباً عنصرياً واليابانيون يعرفون ذلك ويلاحظونه أثناء أسفارهم للخارج.

ولا شك أن الطبيعة الإنسانية تفرض على الإنسان أن يميل إلى أبناء جنسه أكثر من الآخرين أو أن لا يصادق أو يحب يابانياً قصير القامة وهذا قد لا يكون تقصيراً من قبل الغربيين. فالياباني سواء كان من الطبقات العادية أو المتوسطة لم يتعود حتى الآن على عادات الغربيين وسننهم، وغالباً ما يظهر بمظهر غير لائق.

الضيافة الرسمية عند اليابانيين:

مما لا شك فيه أن الضيافة التي تقدمها السفارات اليابانية في الخارج عظيمة جداً ولا تقل عن مثيلاتها الأوروبيات أو الغربيات. وتقدم من خلالها أنواع راقية من الأطعمة والمشروبات الكحولية ويتصور اليابانيون أن هذا المستوى الراقي من الضيافة سوف يعوض نقصهم في مجال الحديث والمجالسة.

وفي المآدب التي يقيمها اليابانيون للغربيين لا يستطيع الياباني، سواء كان رجلاً أو امرأة، أن يدخل الدفء على المأدبة لكونه لا يجيد اللغة الإنجليزية أو الفرنسية. لذا تتحول المأدبة المسائية مثلاً إلى مأدبة رسمية وفي بعض الأحيان يعبر عنها بـ «مجلس جنائزي». من هنا يلجأ اليابانيون إلى التعويض عن نواقصهم بتحضير أفضل الأطعمة لضيوفهم. بل لا يلتفتون إلى أسعار الأغذية التي يقدمونها لضيوفهم مأخوذين بحالة من الكرم والسخاء العجيبين. بالطبع هذه

الحالة لا تقتصر على اليابانيين بل تمتد إلى الصينيين وبقية الشعوب الآسيوية.

أما عندما تقيم السفارات الأجنبية في طوكيو مآدب الطعام ويدعى إليها اليابانيون فإنهم يشتكون من عدم مقدرتهم على المشاركة في الأحاديث كما أنهم يشتكون من عدم الانسجام مع الأجانب. ولقد حضرت مجالس كثيرة كان يحضرها أجانب ويابانيون. إلا أن اليابانيين لم يكونوا يشاركون في الأحاديث إلا بكلمتي «لا» و «نعم» كما أنهم كانوا يتمنون انتهاء تلك المجالس سريعاً حتى يتمكنوا من العودة إلى بيوتهم بسرعة.

ولقد كان اليابانيون بعيدين عن الحياة الاجتماعية لمدة طويلة وهذا مصدر حزن وأسف. وما على اليابانيين إلا محاولة المشاركة في أكبر قدر من الاجتماعات خصوصاً اجتماعات منظمة الأمم المتحدة.

لا وجود للشذوذ الجنسي في اليابان:

إن الشذوذ الجنسي في اليابان نادر جداً بينما ينتشر في لندن وبقية المدن الأوروبية الكبرى كما توجد له أماكن مخصصة فيها. ووجود الصحف والمجلات الفاضحة والداعية إلى التعري وعدم الحشمة دليل على انتشار الانحرافات الجنسية.

واليابانيون إذا ما قورنوا بالآخرين، نجدهم مبرئين من الانحراف إذ أنهم ومنذ طفولتهم يعيشون حياة طبيعية خالية من

الكبت والحرمان. إلا أنه ونتيجة للتعقيد والصعوبات الحياتية والفساد الناشيء عنهما، فإن المجتمع الياباني لن يصمد أمام موجات الانحراف.

وحرارة أبدان اليابانيين، إذا ما قيست بحرارة أبدان الأوروبيين، منخفضة والسبب في ذلك هو تناولهم لمواد بروتينية أقل مما يتناوله أمثالهم من الأوروبيين. ومتوسط درجة حرارة أبدانهم قريبة من (٣٧) أو أقل من ذلك مما يجعلهم أقل تحملاً لموجات البرد.

في جنيف رأيت شاباً يابانياً يريد السباحة في بحيرة «لمان». وبعد أن غطس في الماء لوقت قصير خرج وهو يهتز من شدة البرد حتى بعد أن وضع عليه ملابسه. لقد كانت درجة الحرارة في ذلك الوقت (١٩) درجة وهي درجة حرارة مقبولة لدى الأوروبيين. وقبل سنوات، قرر أحد الطلبة اليابانيين قطع المانش سباحة إلا أنه وقبل الشروع في ذلك قرر عدم السباحة والسبب في ذلك يعود إلى انخفاض درجة حرارة الماء.

والسبب في لبس اليابانيين للملابس الداخلية الصوفية يعود إلى احتياج أبدانهم للحرارة والدفء، ولا يقتصر لبسهم للصوف على الشتاء بل ويمتد إلى فصل الصيف الحار والسبب في ذلك يعود إلى كونهم يريدون تحاشي ظهور آثار التعرق على ملابسهم الخارجية. وحتى الرجال المرموقين عندما يصعدون القطارات فإنهم ينزعون سراويلهم ويبقون بالسراويل الداخلية والتي تدعى بـ «سوتيكو ـ Suteko» بالطبع مثل هذا المنظر هو مصدر للاستغراب من قبل

الغربيين ولكن اليابان تعودوا عليه ولمدة طويلة وهم يشعرون بالراحة والانبساط كلما لبسوه.

شعر الرأس عند اليابانيين:

يمتاز اليابانيون بدون استثناء، رجالاً ونساءً، بامتلاكهم شعراً أسوداً ولكن اليابانيين يحبون أن تكون ألوان شعرهم مختلفة كأن تكون ذهبية أو بنية أو أي لون آخر لذا يقومون، رجالاً ونساءً، بطلائه. وشعر الرأس خصوصاً عند الرجال جاف وصعب لذا يشبهه الحلاقون الغربيون بالصوف. ويدفع اليابانيون أجوراً إضافية لمساعدي الحلاقين من أجل غسل شعرهم حتى يصبح أكثر نعومة.

والطبقة المتوسطة اليابانية لا تمتلك شعراً ولا زغباً على أبدانها وبشكل عام لا تمتلك شعراً على سواعدها وصدورها. أما اليابانيون الذين يرجعون في أصولهم إلى قبيلة «اينو ـ Ainu» والتي كانت تسكن جزيرة «هوكايدو ـ Horraido» فإنهم لا يمتلكون شعراً زائداً على أبدانهم ولذا فهم محل عبادة وخدمة من قبل النساء.

واليابانيون عندما يصابون بالزكام أو عندما يحتملون إصابتهم به فإنهم يعمدون إلى استخدام كمام أبيض ليغطي الأنف والفم ويثبت في مكانه باستخدام أربطة مطاطية تثبت حول الأذنيين. ويبدو عجيباً مظهر اليابانيين بهذا الكمام لمن يراهم أول مرة ولكن استخدامه يشبه استخدام أو لبس الكيمونو. وفي فصل الشتاء، ينتشر استعمال هذا الكمام حتى صار من كثرة استعماله شيئاً عادياً لا يعطي أحد

لمستعمله أي انتباه تماماً كما استعمال المظلة في شوارع لندن.

في عام ١٩١٠ م، انتشر الزكام الإسباني في اليابان، وكانت أحسن وسيلة لعدم الإصابة به أو نقله للآخرين هو استعمال الكمام.

واليابانيون حساسون جداً لمسألة التعري ولكن هذه الحساسية لا تجري على عادتهم في البقاء عراة في الحمامات العامة. إذ يبقى اليابانيون، رجالاً ونساءً، عراة إلا من قطعة قماش صغيرة والتي تستخدم فيما بعد ككيس حمام. بالطبع الحمام يجمع الرجال والنساء. والغربيون يتعرون تماماً عند الاستحمام بل وتبقى غالبية أجزاء أبدانهم عارية في غير وقت الاستحمام. ولكن مثل هذا التعري يبدو عجيباً بالنسبة لليابانيين وسائر الأمم الآسيوية الأخرى. وعندما كنت في نيويورك، قال لي أحد الطلبة الباكستانيين بأن السباحة في بركة جمعية الطلبة المسيحيين بدون «مايوه» تبدو له عملاً مخيفاً بل ويعتبرها عملاً قبيحاً ووحشياً.

أما في الهند، فإن ملايين الهنود يذهبون إلى منطقة البرانس من أجل الاستحمام في الماء المقدس في كل عام. قبل الدخول إلى النهر المقدس «نهر الكنج» يلبس الهنود قطعة قماش تستر عوراتهم وبعد الخروج منه يقومون باستبدالها بقطعة أخرى جافة ويفعلون ذلك بمهارة كبيرة بحيث لا يبقون عراة ولا للحظة.

والآسيويون بشكل عام واليابانيون بشكل خاص يحرصون على أن لا تبدو أعضاءهم التناسلية للآخرين ويعتبرون ذلك

من الآداب الدائمة.

من الناحية الجسمانية، يعاني اليابانيون من القصر وضعف البدن[1].

يفوزون في الألعاب الجماعية:

من الواضح أن اليابانيين من الطبقة المتوسطة، ليس عندهم طاقة ولا تحمل كافيان. لذا فإنهم في دورة الألعاب الأولمبية لم يحققوا نجاحاً في الألعاب التي كانت تحتاج إلى قوة بدنية وإنما

---

(١) يحرم الإسلام النظر إلى العورة (الأعضاء التناسلية لكل من الرجل والمرأة) إلا بين الزوجين أو لعذر شرعي كنظر الطبيب مثلاً وبمقدار الضرورة.
وفي السنوات الأخيرة انتشرت أندية العراة وشواطئهم وخصوصاً في الدول الأوروبية وأمريكا.
إلا أن التعري الياباني لا يرجع في أصوله إلى موجة التعري الأوروبية إذ أن الحمامات الجماعية كانت معروفة قديماً وحتى الآن في اليابان بل وتعتبر جزءاً من التقاليد اليابانية. ومن عادة اليابانيين الاستحمام في حمامات انفرادية قبل الدخول في الحمام الجماعي والذي حسب التقاليد اليابانية لا يمكن الدخول فيه إلا بقطعة قماش صغيرة لستر العورة والتي فيما بعد تستخدم ككيس حمام لتنظيف الجسم. بالمناسبة، كان المودعون والمستقبلون اليابانيون في مطار هانيدا الدولي بطوكيو في السنوات الأولى من افتتاحه ـ خصوصاً أولئك الذين كانوا يرتدون الملابس اليابانية التقليدية ـ لا يحرصون على ستر عوراتهم بل وقد كان بروزها أمراً مألوفاً. (المترجم).

حققوا نجاحات في الألعاب التي كانت تحتاج إلى مهارة ودقة كألعاب القوى وتينس الطاولة.

إن النجاحات اليابانية، بشكل عام، قليلة جداً. وبالرغم من وجود المعلومات العلمية المتقدمة في اليابان إلا أن القليل القليل من اليابانيين يمكنهم أن يصلوا إلى مستوى الشهرة العالمية في المجال التكنولوجي أو أن تدرج أسماءهم ضمن قوائم العلماء والكتاب الكبار. بالطبع لا يمكننا أن نقول بعدم وجود مفكرين كبار في اليابان ولكن يمكن القول أن بحوثهم لم تنتشر بشكل واسع وذلك يرجع إلى اللغة والانزواء الجغرافي.

وفي نظر الخبراء، فإن الآثار العلمية والأدبية والفنية اليابانية هي ذات قيمة عظيمة ولكنها لا يمكن أن تقارن بأي شكل من الأشكال مع نظيراتها الأوروبيات. والرسامون اليابانيون لهم مكانتهم كما أن أعمالهم ظريفة وجميلة ولكنهم أي الرسامين لا يمتلكون نصف قدرة الفنانين من الأوروبيين من أمثال مايكل آنز ورامبرند.

ولقد أشرت في هذا الكتاب إلى أن الفقر وعدم الامتلاك هما جزء من الشخصية اليابانية. ولا يختلف الرسامون عن بقية أفراد الشعب فهم راضون بما توصلوا إليه. وفي بلد لا يجوع فيه الشعب بالرغم من شحة المواد الطبيعية، لا بد أن يكونوا راضيين بل ويعتبرون أنفسهم محظوظين. وفي بلد عاش أفراد شعبه معزولين عن بقية العالم ومفتقرين للمواد الطبيعية لا بد أن يكون فيه جمع

الثروات صعباً ولا بد أن تكون فيه الأعمال شحيحة وما توصل إليه الإقطاعيون من جمع للأموال وكذا أصحاب الصناعات في الوقت الحاضر لا يمكن أن يقارن بما في أيدي أمثالهم من الغربيين. بالإضافة إلى ذلك تلعب الاعتقادات الدينية دوراً كبيراً، فالديانة البوذية تؤكد على أن الاعتدال في كل شيء هو مصدر السعادة الدنيوية. ولا يخفى علينا أن اليابانيين كانوا ولقرون طويلة يحترمون طبقة المقاتلين بينما كانوا يحتقرون التجارة وطبقة التجار. بل وكانوا يقدمون المزارعين عليهم.

وقد يكون من بين أسباب قناعة اليابانيين، كون طعامهم مشكل من الأرز والأسماك والحبوبيات بينما لا يعتمدون على اللحوم، تماماً على العكس من الشعوب الغربية. واليابانيون ليسوا كثيري الأكل ولا هم حريصون ولا هم كثيرو الطلبات. والمهاتما غاندي كان مقلاً في طعامه ولباسه مما جعل منه قائداً لحركة روحية عظيمة. كما أن غاندي كان آكلاً للأطعمة النباتية مما خلق عنده ميلاً للعصيان المدني من أجل كسب الاستقلال.

ولا يوجد في اليابان سراق أو محتالون وإذا ما وجدوا فهم من غير اليابانيين. كما تنعدم جرائم القتل والاختطاف تقريباً في اليابان ولا يمكن مقارنتها بما يحدث في الدول الغربية. أما أصحاب سيارات الأجرة فيقومون بالإعلان في الجرائد عما يجدوه في سياراتهم من أشياء لكي يتمكن أصحابها من استردادها.

وعندما يذهب شخص إلى أحد المصانع اليابانية، فإنه يشعر بعدم كمال اليابانيين الجسماني كما يشعر بعدم مقدرتهم على الابتكار. ويقضي اليابانيون أغلب أوقاتهم في شرب الشاي والثرثرة. ويزور الأقارب والأصدقاء معارفهم في أماكن أعمالهم أو إداراتهم ويقضون معهم ساعات طويلة في الحديث الذي ليس له صلة بالإدارة أو العمل. من هنا، لا يمكن أن تتركز أفكار اليابانيين الإداريين على إصلاح إداراتهم كما هو موجود في الغرب[١].

مفهوم العلاقة بين الشخص وعمله:

يختلف مفهوم علاقة الياباني بعمله عن مفهوم علاقة الغربي بعمله. فبينما يشكل العمل للغربي وسيلة لحياة واقعية خارج العمل، نجد أن العمل والحياة مرتبطان ببعضهما البعض بالنسبة للياباني. كما ولا يمكنه الاستمرار بأحدهما والتوقف عن الآخر. والعامل أو الموظف الياباني في مصنعه أو في مكتبه الإداري إذا شرع في عمل ولم يتمه بعد انتهاء الدوام الرسمي فإنه يبقى في مكانه لإتمام ذلك العمل أو أنه يأخذه معه إلى البيت أو يحضر إلى مكان العمل في أيام العطل من أجل أن يتم ما قد شرع فيه. بالطبع لا أحد

---

(١) في نظري أن اليابانيين لا يمتازون على أي شعب من الشعوب الآسيوية إلا بحبهم للعمل الدؤوب فهم فنانون في استخدام الوقت. وإذا ما أتيحت الفرصة لأحدنا ودخل أحد المكاتب فإنه سيرى أناساً وكأن على رؤوسهم الطير. على الأقل هذا ما شاهدته طيلة فترة تواجدي في طوكيو. (المترجم).

يتوقع حصول هذا العامل أو الموظف على أجور إضافية مقابل الأوقات الإضافية التي قدمها للمصنع أو الإدارة. واليابانيون بمثل هذه الخصوصيات استطاعوا أن يشكلوا قدرة جديدة في العالم. وبعد الحرب والهزيمة، عمل اليابانيون على بناء وطنهم بكل ما امتلكوا من قوة وأفكار وما نتج عن ذلك البناء مصدر للإعجاب والاحترام. كما أن التقدم الإقتصادي الذي حققه اليابانيون في السنوات الأخيرة هو مصدر للإعجاب العالمي.

وإذا كان اليابانيون يمتلكون هذه القدرات التي حققت معجزاتهم الإقتصادية فلماذا لا يمتلكون القدرات الفردية والكمال الجسماني؟ والجواب على ذلك هو: «الفاعلية المجهولة وجماعية الشعب الياباني»، واليابانيون يفكرون بشكل جماعي كما يعملون بنفس الأسلوب أيضاً. والعمل الجماعي في اليابان يتقدم على أو يسبق العمل الجماعي في الغرب ولذا تجد اليابانيين لا يتمتعون بإجازات طويلة إلا نادراً. ويحق للياباني إجازة سنوية لا تزيد عن أسبوعين مدفوعة الراتب أو الأجر. ولكنه لا يستفيد منها جميعاً في الراحة والاستجمام لأنه يخاف أن يوصف بحب الذات والأنانية من قبل زملائه في العمل. إذن هو يأخذ الإجازة القصيرة السنوية على أن يقضي بقية أيام السنة في العمل المتواصل المضني.

والمفهوم الغربي للحقوق والواجبات لا يمكن أن يقبله القاموس الفكري الياباني. بالإضافة إلى التردد في التمتع بالإجازة السنوية وبذل الجهود الهائلة من أجل الحياة. كل ذلك يجعل

ساعات العمل اليابانية كثيرة وبالتالي تمكنوا من تحقيق نتائج أفضل وأحسن. كما أن أخبار الإضرابات والتي تنشرها الصحف اليابانية هي في مجموعها لا تقارن بتلك التي تحدث في الدول الغربية.

والتقدم الصناعي الياباني ليس مربوطاً بوجود المصادر الطبيعية والتي لا يوجد منها أي شيء ذي قيمة وإنما هو مربوط بالطاقة التي يبذلها الموظفون والعمال كما هو مربوط بالمهارات الفنية والإدارية. والصناعة في اليابان في الوقت الحاضر، لا تعتبر عملاً جسمانياً فقط وإنما هي عمل جماعي مقدس يؤدي بكل صفاء وطيب نفس كما يحترم فيها الإنسان. ويعمل مدراء أكثر المصانع اليابانية على توفير وسائل التعليم المجانية وإقامة حفلات الشاي والموسيقى والرقص الياباني وتوفير مختلف الرياضات البدنية. وبالطبع تترك مثل هذه الأمور آثاراً طيبة في نفوس العمال والموظفين كما تكون مصدراً للتعاون بين الطرفين.

ويقوم العمال وقبل البدء في العمل اليومي بتأدية بعض التمرينات الرياضية الجماعية الخفيفة مما يتيح لهم التمازج فيما بينهم أثناء تأدية تلك التمارين. وتبقى آثارها الطيبة في نفوس العمال طيلة اليوم أو طيلة الدوام. وإذا ما صدر عن أحدهم خطأ فإن الضحكات تملأ أرجاء المصنع وبالتالي فإن المصنع يملأه الحبور طيلة اليوم. بالطبع تلك الضحكات وذلك الحبور لا يخرجان عن الذوق الياباني.

وفي كثير من المصانع اليابانية، يقوم كبار المدراء بتوجيه كلمات شبه يومية لعمالهم لتشجيعهم على زيادة الإنتاج وزيادة الفاعلية.

ويعشق العمال اليابانيون أعمالهم كما أنهم أكثر عمال الدنيا علاقة بالعمل الجماعي. وعندما يعملون بشكل جماعي فإنهم يبذلون طاقة غير معتادة أو خارقة. وعندما يصل شخص أجنبي إلى مطار طوكيو فإن أول أمر يشاهده أو يشد انتباهه هو العمل الجماعي لعمال وموظفي المطار والذي لا يمكن مشاهدته في أي بقعة في الدنيا.

وحتى الازدحام الشديد الذي يمكن مشاهدته في وسائل النقل خصوصاً القطارات إنما هو تعبير عن الطاقة والحماس اللذين يتمتع بهما الشعب الياباني. نعم لا يمكن أن تحسب الطاقة المتفجرة من أكثر من مائة مليون ياباني بالأعداد الحسابية إذ أن الطاقة التي تتولد عن عمل جماعي تتجاوز طاقة المليار والذين يعملون بشكل انفرادي تماماً كما الانفجار النووي الذي يقسم الذرات لتتولد منها طاقة لا يمكن حسابها بالرياضيات العادية(١).

---

(١) للمزيد يمكن مراجعة الكتب التالية.

1 - «Made in Japan» by Akio Morita.

2 - «Essays on Japan from Japan» by Nippon Steel Corporation.

3 - «The Emerging Japanese Surperstats» by Herman Kahn.

4 - «Japan As No.1 - Lessons for America» by Ezra F. Vogel.

(المترجم).

«اليابانيون في الخارج»

سيل السواح اليابانيين:

في الوقت الحاضر، أصبح من المعتاد أن نرى مجموعات كبيرة من السواح اليابانيين حاملين معهم حقائب كاميراتهم وهم يتجولون في الشوارع الرئيسية للمدن الكبرى العالمية.

ويزداد السواح اليابانيون عدداً يوماً بعد آخر، فيما يختارون الدول الغربية مكاناً لسياحتهم وقضاء عطلهم. ويشبه السواح اليابانيون السواح الأمريكيين حيث أنهم يشكلون رقماً مهماً في السياحة العالمية كما أنهم يشكلون الأحسن والأكثر فائدة في قائمة المشترين عند شركات النقل. وفي أي وقت تعرضت فيه طائرة ركاب مدنية في العالم إلى حادثة ما، فإنه يمكن مشاهدة يابانياً أو أكثر بين ركابها.

ومنذ عام ١٩٦٤ م، أي عام رفع القوانين المانعة للسفر خارج اليابان وعام حرية تبديل العملة، أخذ اليابانيون يتوافدون على بلدان

ما وراء البحار. وتنظم المؤسسات الخاصة رحلات لموظفيها لقضاء عدة أسابيع في أمريكا ودول أوروبا وذلك في فصل الصيف. كما يتمتع اليابانيون بوضع مالي جيد وقد أصبح من الرسوم والسنن المحلية قضاء أول أيام السنة في جزر هاواي أو كاليفورنيا. وعلى الرغم من ارتفاع تكاليف السفر إذ أن اليابان بعيدة جغرافياً إلا أن هذا الارتفاع لا يشكل أقل الموانع أمام سفر اليابانيين. والسفر إلى الخارج بالنسبة لكثير من اليابانيين يشكل أمنية مصحوبة بالعشق والعلاقة الشديدة.

وفي بداية عصر الميجي، أقامت اليابان علاقات مع كثير من الدول الأجنبية ونتيجة لذلك سافرت أعداد كبيرة خارج اليابان. واليوم يجد الكثير من أولئك الرغبة الشديدة للسفر إلى دول أوروبا وأمريكا.

والكثير من اليابانيين يسافرون للخارج لأسباب عملية وجيهة، لكن هناك أعداد كبيرة أيضاً يسافرون للخارج من أجل السياحة.

مشاهد باريس بالنسبة لليابانيين:

تشكل رؤية باريس لكثير من الفنانين والكتاب اليابانيين واحدة من أمنياتهم الحياتية. ومعروف بينهم هذه المقولة «إذا لم تشاهد باريس فلا تمت».

إن رؤية الياباني لفرنسي أنيق في واحد من مقاهي باريس تجعله

يتمنى ولو لمرة واحدة في حياته أن يجلس في واحد من مقاهي شارع الشانزاليزيه الباريسي لكي يحتسي فنجاناً من القهوة، بل هي أمنية الكثير من اليابانيين.

وفي الوقت الحاضر، من شروط السفر للبلدان الأجنبية امتلاك ولو مقدار قليل من المال واليابانيون ومن مختلف الطبقات لديهم هذه الإمكانية.

أحد المعاهد والمهتم بجمع الآراء حول مواضيع مختلفة طرح على طلبة الثانويات سؤالاً وهو: أي البلدان تريد أن تشاهد؟ بعد جمع الأجوبة اتضح أن سويسرا فازت بالمرتبة الأولى وتبعتها الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ثم فرنسا. وفي نظر كثير من اليابانيين أن سويسرا تمتاز بجمال طبيعي وأن شعبها محظوظ بذلك. بالطبع لا أحد ينكر ذلك ولكن يغيب عن غالبية اليابانيين أن اليابان تمتلك طبيعة مماثلة لسويسرا أن لم تكن أفضل منها. ولكن وللأسف، أضاعت المباني السيئة والكثافة السكانية المناظر الطبيعية الجميلة في اليابان(١).

ويريد الكثير من اليابانيين زيارة الدول الأجنبية من أجل تحقيق

---

(١) تمتاز اليابان بطبيعة خلابة جداً وذلك لغزارة أمطارها وجريان أنهارها الكثيرة، يضاف إلى ذلك اللمسات الفنية التي يتركها اليابانيون على كثير من مظاهر الطبيعة. فيهتم اليابانيون بترتيب الزهور وتربيتها كما أنهم يولون الحدائق عناية مركزة جداً. وغالبية المعابد محاطة بحدائق غناء وارفة. (المترجم).

مكانة اجتماعية أكبر ومن أجل زيادة المعرفة بتلك الدول على اعتبار أن اليابانيين قليلو المعرفة بالعالم الخارجي. ويزداد زبائن أحد محلات الخياطة مثلاً إذا ما عرف أن صاحبه حصل على شهادة من باريس، بغض النظر عن المدة التي قضاها فيها أو المؤسسة التعليمية التي درس فيها. يكفي أن يكون قد أمضى فترة في باريس لتعلم الخياطة لكي يحظى بكل هذا العدد الغفير من الزبائن.

وينطبق هذا الأمر على أهل السياسة ورؤساء المحافظات والبلديات إذ يحرصون على زيارة الدول الأجنبية من أجل تحقيق مكانة أرفع بين الناس بل قد يكون سبب اختيارهم في مناصبهم أنهم قضوا مدداً في الخارج. وليس غريباً إذاً، إذا ما قامت البلديات بتخصيص جزء من ميزانياتها من أجل دراسة النظم الغربية، بل وإن التصويت على تلك المخصصات يكون في العادة سريعاً ويجد قبولاً من المستشارين والخبراء.

ودافعو الضرائب لا يعترضون على ذلك فهم طيعون إلى حد كبير ولا يتشككون في أهداف الخبراء والمستشارين. لهذا، فإن مئات الآلاف من اليابانيين يسافرون سنوياً للخارج كالنهر الذي لا يجف وبأعذار مختلفة وأسباب عديدة. ولا شك في أن السفر للخارج مفيد لليابانيين في الجوانب العلمية والتكنولوجية وفي زيادة المعرفة اليابانية بالمدنية الغربية. لكن يندر أن نجد شخصاً يابانياً واحداً أحس وكأنه في بلده أثناء وجوده في الخارج.

ويأسف اليابانيون على فقدانهم للهدوء والأصالة في حياتهم،

فمثلاً تشكل العمارات والبنايات على الطراز الغربي والأمريكي مصدراً للحيرة والدوار. وكم يتحسر اليابانيون على الأيام الماضية التي كان يمضي فيها الشخص حياته في بيت صغير هادىء ويتمتع بحديقته الجميلة. أحد السياسيين اليابانيين الذي قدم خدمات عظيمة لبلده من خلال عمله في كثير من العواصم الأوروبية والذي اشتهر كثيراً، كتب قطعة شعرية في أيامه الأخيرة ذكر فيها أنه يتمنى العودة إلى بلده ليتمتع برؤية القمر من خلال النوافذ الورقية لبيته الياباني بالرغم من كل ما تقدمه المدن الأوروبية من إثارة ومظاهر جاذبة وبالرغم من مكانته السياسية في الخارج.

واليابانيون يمتلكون مثلاً يقول «إن سعادة أي شخص هي في أن يكون مثل (أوليس) الذي عاد إلى وطنه». فالعودة إلى الوطن وإلى الطبيعة اليابانية الهادئة هي واحدة من صفات اليابانيين والتي تزْداد حدة وحرارة كلما تقدم الياباني في السن[١].

السواح اليابانيون يقبلون على تناول الأطعمة الغربية في الأيام الأولى من سفرهم والتي غالباً ما تحتوي على لحوم في حين أن أطعمة اليابانيين في اليابان لا تحتوي على اللحوم إلا نادراً. إذ يتشكل الطعام الياباني من الأرز والسمك وفول الصويا. وإذا ما قدر لأحد اليابانيين البقاء في الخارج لأكثر من شهر فإنه يزداد حنيناً إلى

---

(١) كثير من الكتاب ومن أجل التعبير عن مدى حب الياباني لوطنه يقولون: «بأن دين الياباني هي وطنيته». (المترجم).

الأطعمة اليابانية ولذا تجده يفتش عنها في المطاعم الآسيوية خصوصاً الصينية إذا لم تكن هناك مطاعم يابانية. كما تشكل السفارات والقنصليات اليابانية في الخارج مدناً في صحاري بالنسبة لليابانيين إذ يشبعون بطونهم فيها من الأطعمة الوطنية. وإذا ما حضر أحد كبار اليابانيين ونزل ضيفاً على إحدى السفارات أو القنصليات فإنه لا يتوقع من مضيفيه أن يحضروا له أطعمة غربية. بل قد تؤدي الضيافة الغربية في إحدى السفارات أو القنصليات لواحد من ذوي الرتب العالية من اليابانيين إلى فقدان وظيفة الشخص المسؤول فيها. ولقد سمعت «المؤلف» من زملائي في أوروبا أن السفارات اليابانية في العواصم الأوروبية أخذت تتحول شيئاً فشيئاً من مطاعم أربع نجم إلى مطاعم خمس نجم للمسؤولين الكبار الذين يحضرون إلى تلك العواصم.

ويعاني اليابانيون من هوس الحياة الصاخبة في المدن الغربية بل تجدهم يدفعون أسعاراً مضاعفة لكل شيء. وإذا ما رجعوا إلى مطار «هانيدا» فإنهم يتنفسون الصعداء ويقولون بينهم وبين أنفسهم أنه لا شيء أحسن من بيت الإنسان نفسه حتى ولو كان حقيراً. وبشكل عام فاليابانيون يحسون بالملل والضجر تجاه الراحة في الغرب وبالتالي فإن القليل منهم يستطيعون البقاء في البلاد الغربية.

ولا يمتاز الصينيون على اليابانيين في كثير من الأشياء، بل حتى أنهم يتشابهون معهم في الجوانب الجسمانية. إلا أن الصينيين يستطيعون البقاء والعيش في أي بقعة من العالم وبكل شرف وعزة حتى مع خشونة العيش وصعوبة الحياة. وفي أمريكا لم يتمكن إلا

القليل من اليابانيين، عدا أولئك المتولدين من أب ياباني أو أم يابانية، من جمع الثروة والبقاء في أمريكا.

وفي سنة ١٩٣٠ م، سافر أحد اليابانيين إلى نيويورك واسمه «فوجي مورا» وكان يعمل في شركة أساهي للحرير، في ذلك الوقت كانت تجارة الحرير رائجة في أمريكا. أخذ «فوجي مورا» يعمل بتجارة الحرير خارج الدوام الرسمي فجمع ثورة هائلة مما رفعه إلى درجة الرأسماليين. بعد ذلك اشترى أملاكاً في كونكتيكت واتفق مع عشيقته الأمريكية على العيش هناك. في الشتاء ذهب في رحلة إلى جزيرة برمودا وهناك لعب القمار في إحدى الليالي ومن ثم اختفى. في ذلك الوقت كنت قنصلاً لليابان في أمريكا واطلعت على وصيته. خصص في وصيته مبالغ كبيرة لعائلته في اليابان كما خصص مبلغاً كبيراً لزوجته الأمريكية يقدر بملايين الدولارات. في حين أنه يمكن تحضير غذاء منوع في أمريكا بدولار في ذلك الوقت.

وفي الواقع أن أمثال «فوجي مورا» نادرون بين اليابانيين. وسويسرا بلد جميل في نظر اليابانيين إلا أن أحداً لم يفكر في بناء منزل له فيها والعيش فيه في حين أن عدداً من الصينيين والهنود يملكون قصوراً وفللاً على ضفتي بحيرة «لمان».

وعلى الرغم من مضي سنوات عديدة على اليابانيين بعد إعادة فتح أبواب اليابان على العالم الخارجي إلا أن عدد المهاجرين اليابانيين إلى الولايات المتحدة الأمريكية وبقية بلدان العالم لم يتجاوز المليون نفر. بعد الانفتاح على العالم هاجر يابانيون إلى

الولايات المتحدة وكولمبيا والبرازيل وعملوا كمزارعين في تلك البلدان إلا أنهم ظلوا يشعرون بالتمييز العنصري في تلك البلدان وقد يكون هذا من بين الأسباب التي جعلت أعدادهم منخفضة في الدول الأجنبية.

والمهاجرون اليابانيون، بشكل عام، هم عمال مجدون يؤدون أعمالهم عن رضا ورغبة لا عن إجبار وضرورة. ففي الولايات المتحدة الأمريكية وخصوصاً في كاليفورنيا، يوجد أحسن البساتين وهم اليابانيون. وهؤلاء يعملون من الصباح الباكر حتى غروب الشمس في الحدائق ويؤدون عملهم بكل دقة واتقان. كما يحب اليابانيون الزراعة أكثر من أي عمل آخر.

ويعمل كل مهاجر ياباني لصالحه ولا ينظر لمساعدة أمثاله من اليابانيين بل يمكن القول أنهم ينظرون إلى بعضهم البعض بعين الحسد وعدم الرضا وإذا ما نجح أحدهم في عمله فإنهم يحاولون منافسته حتى حد الإخراج من الساحة. فمثلاً إذا ما أراد شخص افتتاح مطعم للوجبات اليابانية فإن آخر يتخذ نفس الخطوة ويقوم بافتتاح مطعم آخر في نفس المنطقة أو بالقرب منه. بالطبع ليس في مثل هذه المنافسة وهذا التجاسر من فائدة تعود عليهما. وتعود مثل هذه الأخلاقيات في جذورها إلى كون اليابانيين سكان جزر كما تعود في جذورها إلى ضيق التفكير. وعلى العكس من اليابانيين نجد الصينيين، في المهجر، يساعد بعضهم البعض بل ولا يأسفون على بذل المساعدة.

وسبب آخر من أسباب عدم انتشار اليابانيين في العالم هو عدم معرفتهم باللغات الأجنبية. فالطبقة المتوسطة تتعلم اللغة الإنجليزية في الثانوية ولكنهم لا يتمكنون من الحديث بها بسهولة ويسر. وبعد الحرب العالمية الثانية أخذ الطلبة والمدرسون اليابانيون في تعلم اللغة الإنجليزية وانتشرت طريقة الانتخاب للجامعات عن طريق المحادثة المباشرة. ولكن في هذه الأيام وبعد انتشار اختبارات القبول التحريرية اختفت تلك الطريقة. وبالرغم من وجود أعداد كبيرة من اليابانيين ممن يدرسون اللغة الإنجليزية إلا أن معرفتهم بها تبقى غير متناسبة مع الجهود المبذولة. وبصراحة، لا يمتلك اليابانيون المقدرة على تعلم اللغات.

قبل سنوات، زار أحد أصحاب «مركز المعلومات الياباني» بريطانيا. كما دعي من قبل جامعة كامبريج للحديث حول الوضع السياسي في اليابان. ولا شك أنه بذل جهداً مضاعفاً في سبيل أن يكون حديثه بلغة إنجليزية صحيحة بل حتى بلهجة إنجليزية كاملة. وبعد إكمال حديثه قال أحد الإنجليز عنه «من العجيب أن اليابانيين مثل الإنجليز».

ويتجمع اليابانيون في المهجر في مناطق متقاربة من أجل التحدث مع بعضهم البعض باللغة اليابانية ولا يستفيدون من الوسائل المتوفرة في المهجر لتعلم اللغة الأجنبية فيما عدا أطفالهم الذين يولدون في تلك البلاد والذين يتحدثون بلغتها. بالطبع يرجع هذا

التصرف في أحد أسبابه إلى عدم القدرة على إجادة اللغات الأجنبية.

ولا يزال ٩٩٪ من اليابانيين المهاجرين، ما عدا المزارعين، يعتمدون في التكاليف المعيشية على اليابان. فمثلاً يعتمد الطلبة والفنيون والمراسلون وغيرهم على اليابان إلا أن هناك عدداً قليلاً يمكنهم تأمين تكاليف معيشتهم من الدول التي يعيشون فيها. أما بعض مدراء المطاعم اليابانية في أوروبا فإنهم يستلمون مساعدات من المؤسسات الثقافية اليابانية. وفي السنوات الأخيرة قامت بعض الشركات وأصحاب الصناعات اليابانية بإرسال ممثلين للدول الأوروبية وأمريكا في مجال النسيج، وعلى الرغم من إقامة هؤلاء الممثلين لصناعات مستقلة في تلك البلدان إلا أنهم ظلوا في حاجة دائمة لمساعدات شركاتهم الأصلية. والسبب يعود إلى كون الياباني لا يتمكن من العمل بشكل انفرادي وليست عنده روحية الاعتماد على النفس ولا الجرأة[١].

بعد الحرب العالمية الثانية بسنوات، قامت إحدى الوكالات التجارية اليابانية والتي تمتلك شهرة عالمية بافتتاح فرع لها في لندن واستخدمت فيه مئات الإنجليز. وأذكر أنه كلما بعثت الوكالة اليابانية بأحد اليابانيين للعمل في فرعها في لندن خاطبه الموظفون الإنجليز بـ «الطالب المتدرب». وفي الوقت الحاضر، تقوم الفرق التجارية

---

(١) أين المؤلف من النجاحات التي حققتها الشركات اليابانية المعروفة كشركة «سوني» و «تويوتا» وغيرهما في الخارج إذ أقامت مصانع هناك. (المترجم).

اليابانية في مختلف البلدان الأوروبية وأمريكا باستخدام موظفين أوروبيين وأمريكيين وتواجه مشاكل كثيرة معهم. ومن أجل أن يتعاونوا معها فلا بد أن تدفع لهم أجوراً عالية. كما يقوم أصحاب العمل اليابانيون بانتقاء أحسن الألفاظ والألقاب في الحديث مع موظفيهم الأوروبيين والأمريكيين. فمثلاً لا ينادونهم بأسمائهم مجردة بل يستخدمون كلمة «السيد». بالإضافة إلى ذلك، فإنهم لا يستخدمون أساليب التوبيخ مع موظفيهم وعمالهم الأوروبيين والأمريكيين لأنهم يجدون في ذلك حرجاً عظيماً مما جعلهم يصبحون بلا «حياء»، في إحدى السفارات اليابانية في أوروبا، عملت إحدى السيدات كضاربة على الآلة الطابعة لمدة ثلاثين سنة. وبعد التقاعد، دعتها وزارة الخارجية اليابانية لقضاء بعض الوقت في اليابان. وبالطبع تكفلت الوزارة بدفع كل التكاليف من تذاكر السفر إلى الإقامة إلى الضيافة. كل ذلك تقديراً لخدماتها الجليلة. وعندما وصلت تلك السيدة إلى مطار طوكيو استقبلت استقبالاً رسمياً وأقيمت لأجلها مأدبة عظيمة حضرها السفراء السابقون في أوروبا وأحد وزراء الخارجية السابقين. وطيلة مدة إقامتها في اليابان، كان أحد المسؤولين الكبار اليابانيين مسؤولاً عن ضيافتها.

ويعمل اليابانيون بشكل جماعي مما ينتج عنه طاقة عظيمة تترك آثاراً مثيرة للإعجاب. ولكن الياباني بصورته الفردية يعتبر مخلوقاً حقيراً خصوصاً إذا كان في الخارج إذ تصبح معاشرته للآخرين صعبة. وفي الوقت الحاضر، تعقد مؤتمرات عالمية كثيرة ويحضر اليابانيون غالبيتها خصوصاً مؤتمرات الأمم التحدة. وبالرغم من أن

وسائل الإعلام اليابانية تتحدث حول تلك المؤتمرات والاجتماعات إلا أن البعثات اليابانية فيها تعتبر هي الأضعف من بين البعثات المشاركة. وبالإضافة إلى المشاكل الناشئة من عدم اتقان اللغات الأجنبية، هناك المشاكل الناشئة من الجبن وعدم الجرأة على التحدث أمام التجمعات. فأعضاء البعثات اليابانية هم من النوع المحافظ والمتواضع ومن الذين يخافون أن تجرح صراحتهم شعور الآخرين. وفي أغلب المؤتمرات، يصعب على اليابانيين التحدث عندما يطلب منهم إبداء آرائهم وأفكارهم حول مسألة ما.

واليابانيون بطبعهم محافظون ويرجحون السكوت على الحديث الجالب للسخرية والضحك. وفي كل مؤتمر عالمي، يقوم المتحدث الياباني بكتابة كلمته أو خطبته أولاً بأول. أما عندما يلقي كلمته فإن صوته يكون غير مفهوم، لأنه لا ينطق الكلمات بشكل جيد ولهذا السبب يكون خطابه غير جذاب. كما أنه مصدر للكسل وعديم الجدوى بالنسبة للمستمعين.

ويمتلك الصينيون والهنود خطباء قديرين وماهرين بينما لا يمتلك اليابانيون أمثالهم. والسبب يعود إلى فقدان اليابانيين لروح المزاح والجرأة. في أحد المؤتمرات السنوية لمنظمة العمل الدولية في جنيف، رأست وفد اليابان وانتخبت رئيساً لذلك المؤتمر إلا أن كثيراً من المندوبين أبدوا تخوفهم من جراء انتخابي في هذا المنصب لما يحملون من سوابق حول اليابانيين حتى أنهم قالوا بصريح العبارة «إننا نخاف أن لا يأتي المؤتمر بفائدة من جراء ترأسك وإدارتك له» إلا أنني وبفضل سوابقي وتجاربي في هذا المجال تصرفت بعكس ما

تصوروا. واليابانيون يعرفون في المؤتمرات بأنهم مندوبو «الضحك، النوم والسكوت». ويضحك اليابانيون ليغطوا على سكوتهم وعدم فاعليتهم. وينامون في أماكن غير متوقعة كالقطارات والإدارات وأماكن العمل وهم في غالبيتهم مصابون بمرض عدم النوم أو مصابون بالأرق. كما ينام اليابانيون طويلاً لأنهم يتناولون الأرز كثيراً.

وفي الوقت الحاضر هناك مجموعة كبيرة من المنظمات الدولية مثل هيئة الأمم المتحدة في نيويورك، اليونسكو في باريس، منظمة الزراعة الدولية في روما، منظمة العمل الدولية في جنيف وغيرها من المنظمات الأخرى. واليابان هي عضو في كل هذه المنظمات إلا أنها ليست ضمن المندوبين الإداريين فيها والسبب يعود إلى كون اليابان دخلت في عضوية هذه المنظمات متأخرة نتيجة للسيطرة الأمريكية عليها بعد الحرب العالمية الثانية. والبعض يرجع السبب إلى كون اليابانيين لا يرغبون في أن يعملوا كموظفين دوليين. والموظف الياباني قليل الكلام وإذا ما توجب عليه الكلام فلا يتكلم وكثيراً ما يقع في أخطاء. ويتعب من تجاوزات زملائه الأجانب ولذا يطلب الاستعفاء من عمله وثم يعمل على الحصول على وظيفة بالقرب من مواطنيه أي بمعنى آخر يعمل على الحصول على وظيفة في اليابان. وإذا ما استخدمت إحدى المنظمات الدولية أحد اليابانيين لمدة طويلة فإن ذلك يدل على أن عمله ليس في الواجهة بل هو في أحد الأقسام البعيدة كقسم الإحصاء مثلاً.

وإجمالاً، اليابانيون منغلقون وهادؤون. أما على الصعيد

الدولي ونتيجة لوجودهم في جزيرة بعيدة ومنزوية عن العالم في الماضي فإنهم لا يجدون رغبة في العمل العالمي.

ولا بد من مضي سنوات، لكي يتمكن اليابانيون من الحياة في أي بلد يريدون ومن ثم يتعودون على أخلاق وآداب أهل ذلك البلد.

اليابان فردوس الأجانب

لماذا يقيم الأجانب في اليابان؟

اليابان، في نظر الأوروبيين والأمريكيين ليس بلداً محبوباً وليس صالحاً لإقامتهم وسكنهم. وعلى الرغم من وجود وسائل المواصلات السريعة إلا أن اليابان تبقى بلداً معزولاً تقع في الشرق الأقصى وفي نظر الأجانب خصوصاً الأمريكيين والأوروبيين تعتبر الإقامة فيها بمثابة الإبعاد الإجباري.

والقليل من الأجانب يتحملون الحياة الشرقية المتصفة بالأدب والسخاء اللامحدود كما أن القليل منهم يتحمل طبيعة الطقس والتلوث. وكما يقول «كابلينج» في إحدى قصائده «أبداً، لن يتفق هذان» يضاف إلى ذلك ارتفاع التكاليف الحياتية في طوكيو مما يسبب متاعب للدبلوماسيين ومندوبي المؤسسات التجارية والصناعية.

ويوجد في اليابان أكثر من اثنى عشر ألفاً من الغربيين لأهداف مختلفة، كالهيئات الدينية وأساتذة الجامعات ومندوبي المؤسسات

التجارية والصناعية. ولأنهم يعيشون وضعاً خاصاً فإن حياتهم سهلة.

والمناخ في اليابان رطب ومسبب للضيق في غير الصيف. أما الماء والهواء في مركز اليابان فهما مماثلان لما في واشنطن العاصمة الأمريكية. والأجانب يقعون في وهم إذا هم قارنوا الهواء والماء في اليابان بما هو موجود في بقية دول جنوب شرق آسيا.

والرفق والاحترام اللامحدودان اللذان يمتلكهما اليابانيون هما من العوامل التي تدفع ببعض الأجانب للبقاء في اليابان والعمل بها خصوصاً أولئك الذين ليس لهم أمل في الحصول على شيء في بلدانهم.

قبل عدة سنوات، كتبت إحدى الصحف اليابانية الناطقة باللغة الإنجليزية والتي تصدر في طوكيو مدعية بأن عدداً من الغربيين الذين اختاروا الإقامة في اليابان هم من الشاذين جنسياً وأن البوليس لم يفعل شيئاً تجاههم.

عمل الدكتور «توماس باتي»، وهو أحد الحقوقيين الدوليين من بريطانيا، مستشاراً في وزارة الخارجية اليابانية حتى قبل الحرب العالمية الثانية وقد كان يحصل على مرتب عال جداً بالإضافة إلى سكن راق إلى حد كبير ومجاني. الرجل لم يتزوج في حياته وقد كان اليابانيون معه عطوفين وكرماء إلى الحد الذي دفعه إلى عدم مغادرة اليابان حتى عندما طلبت منه حكومته مغادرتها. وإذ لم يفعل اعتبرته خائناً لوطنه لأن اليابان كانت في حرب مع بريطانيا. وفي

أثناء الحرب قام أحد أصحاب البنوك بتخصيص فيللا للدكتور «باتي» قرب البحر وعاش فيها حتى آخر عمره. وعندما توفي، قامت الحكومة بدفنه في أفضل مقبرة في طوكيو ضمن مراسم خاصة. أما أصدقاؤه ورفاقه القدماء فيحيون ذكرى وفاته سنوياً.

الأولوية للإنجليز في تدريس اللغة الإنجليزية:

في الماضي وكما هو الحال في الوقت الحاضر، توقع الثانويات والجامعات اليابانية عقوداً مع المعلمين والأساتذة البريطانيين والأمريكيين من أجل التدريس فيها. ففي الثانوية التي تخرجت «المؤلف» منها يقوم أحد الإنجليز ليس فقط بالتدريس فيها وإنما يقوم بالتدريس في المؤسسات القريبة منها. كما أن زوجته لا تقوم بتدريس اللغة الإنجليزية فقط وإنما تقوم بتدريس العزف على البيانو لأطفال العائلات المرفهة والغنية. وفي الوقت الذي كانت فيه بريطانيا مسيطرة على بحار العالم، كان هذان الزوجان يتمتعان بدخل كبير في اليابان. كما أن العائلات الغنية كانت تقيم للزوجين الإنجليزيين حفلات كبيرة وعامة. وعلى أي حال، حتى لو اعتبرنا إقامتهما في اليابان نوعاً من الإبعاد إلا أنهما كانا من الناحية المالية يشبهان موظفي المستعمرات الذين كانوا يتمتعون بامتيازات عظيمة.

بعد سنوات وعندما كنت سفيراً في بريطانيا، اتصل بي المعلم السابق ولم أكن أتوقع ذلك. والسبب في اتصاله هو أنه عندما ترك العمل في اليابان حمل معه الهدايا الكثيرة التي حصل عليها خلال

إقامته هناك إلى بريطانيا وقد كانت معبئة في ثمانية صناديق. موظفو الجمارك طلبوا منه دفع ضرائب على تلك الهدايا فرفض على اعتبار أنه حصل عليها كهدايا. إذاً، اتصاله كان من أجل الحصول على شهادة بذلك حتى لا يدفع ضرائب جمركية عليها.

واليابانيون مصابون بمرض تقديم الهدايا، ليس فقط بين اليابانيين أنفسهم وإنما بينهم وبين معارفهم من الأجانب. فعندما يزور الياباني أحد أصدقائه فإنه يجلب هدية معه بشكل حتمي وأقلها ثمناً هي علبة من الكعك مثلاً. وإذا ما أراد أحد الأشخاص المهمين اليابانيين السفر للخارج فإنه يأخذ معه قلائد من اللؤلؤ وبعض الأدوات الكهربائية وقطع من الحرير لتقسيمها بين أصدقائه هناك. ومن العادات المعمول بها حتى الآن في اليابان هي أن يجلب الشخص الذي يدعى إلى حفلة عرس أو يدعى إلى سهرة هدية معه.

أحد الأجانب الذي يمتلك مكتباً غير مشهور في طوكيو ومن كثرة ما تعود على أخذ الهدايا، فإنه كان يطلب هدية من كل ياباني كان يريد مقابلته أو استشارته.

اليابانيون يحبون الموسيقى:

يعتبر اليابانيون من عشاق الموسيقى وخصوصاً الغربية منها. وقد يثير هذا السماع للموسيقى الغربية الاستغراب عند الإنسان إذ أن اليابانيين معروفون بتمسكهم الشديد بالآداب والسنن الوطنية. وعلى العموم يمكن سماع الموسيقى الغربية في المطاعم والمقاهي

والمحلات الكبيرة سواء في طوكيو أو أوساكا أو أي مكان آخر في اليابان. واليابانيون لا يلتذون فقط بسماع الموسيقى الغربية وإنما يقومون بإعداد الفنانين المهرة من أجل عزفها وتعلمها.

ويوجد في اليابان، اليوم ست فرق للأوركسترا. وفي السنوات الأخيرة شاركت هذه الفرق في المسابقات الدولية. وقد دعيت بعض هذه الفرق لقيادة فرق غربية في الدول الأجنبية.

ولقد تحولت طوكيو إلى كعبة الموسيقيين الغربيين المعروفين بسبب حب اليابانيين الشديد للموسيقى الغربية.

بعد الحرب العالمية الثانية، صار اليابانيون عشاقاً للموسيقى الغربية ولذلك فإن دعوة أحد الموسيقيين الغربيين لليابان تعني حصوله على الثروة بل حصول أولئك الذين قاموا بدعوته على نصيب مناسب من المال من العارفين اليابانيين. ويدفع، حتى الطلبة الجامعيين اليابانيين، مبالغ كبيرة من أجل حضور عزف على البيانو لشدة عشقهم وشوقهم للموسيقى الغربية. كما يدفع اليابانيون مبالغ مضاعفة لآثار الفنانين والموسيقيين المعروفين أكثر مما يدفع لها في أسواق نيويورك.

واليابانيون كلما ازدادوا مشاكلاً كلما ازدادوا حسناً واحتمالاً ولهذا فإن بلدهم جنة الفنانين التي يفتشون عنها.

اليابانيون يعشقون من يريد تعلم لغتهم:

عندما يتعلم الأجانب اللغة اليابانية ويتحدثون بها مع اليابانيين، بالرغم من التعب الذي يلاقونه أثناء التعلم، فإن اليابانيين يعتبرون

ذلك احتراماً لهم وتقديراً.

وعندما كنت «المؤلف» في بولندا، تعلمت إلى حد ما اللغة البولندية كما ساعدني البولنديون في ذلك عندما رأوا مني ميلاً نحوها.

والتقليد هو شكل من أشكال التملق ولكن أفراد الطبقة المتوسطة اليابانية عندما يرون أحد الأجانب يتحدث باللغة اليابانية فإنهم يعتقدون أنه إلى جانبهم في كل شيء. وكلما ازداد الأجنبي تمكنا من اللغة اليابانية كلما ازداد تأثيره في الناس العاديين من اليابانيين وكلما وافقوه بالكامل. وعندما يتمكن أحد الأوروبيين من التحدث باللغة اليابانية فإن الشركات التجارية تهرع إليه للظهور على شاشة التلفزيون أو للحديث من خلال الراديو ليقدم بعض الإعلانات التجارية. كما أن المتفرجين والمستمعين يصابون بالحماس لأن أحد الأوروبيين يتحدث بلغتهم. ومن المسلم به، عندما يتحدث الرجل الأبيض باللغة اليابانية فإنه ولا شك يحصل على كثير من الحقوق والمزايا الكبيرة. وفي الآونة الأخيرة، قامت حركة في اليابان تدعو إلى تعلم اللغة الإنجليزية ولكن عن طريق المعلمين والمدرسين اليابانيين إذ أن الأجانب من الإنجليز والأمريكيين والكنديين يتسلمون أجوراً كبيرة. وإذا حدث أن أحد مراكز تعليم اللغات لم يستخدم الأجانب ضمن طاقم معلميه فإن عدد طلبته سيكون قليلاً. ولا شك أن الأجانب المقيمين في اليابان يستغلون نقطة الضعف هذه لجمع الثروات الكبيرة. وكما يفعل الأجانب في اليابان ويستغلون اليابانيين فإنهم يفعلون ذلك مع البلدان الآسيوية الأخرى.

وكثير من أبناء الدول المجاورة والمقيمين في اليابان يجيدون اللغات الأجنبية أكثر مما يجيدها اليابانيون. وفي كثير من الحالات، تكفي بعض السنوات من الإقامة في اليابان لإجادة التحدث باللغة اليابانية. والبعض، ولشدة التشابه بينهم وبين اليابانيين بالإضافة إلى مقدرة التحدث باللغة اليابانية، لا يجدون أي مصاعب بل إن كثيراً من هؤلاء الشرقيين والذين يمتلكون قدرات وطاقات خاصة أصبحوا أصحاب ملايين خلال هذه الفترة من الزمن.

واليابانيون يعتقدون أن كثيراً من هؤلاء لا يمتلكون الضمائر والوجدان. ويحتمل أن يكون الشرقيون قد حصلوا على مزايا كثيرة أثناء السيطرة الأمريكية على اليابان ولكن تلك المزايا ألغيت ولم تعد إجادة التحدث باللغة اليابانية كافية للإثراء على حساب اليابانيين.

اليابانيون لا يعتنون بالاتفاقيات:

لا يعتني اليابانيون بالاتفاقيات المكتوبة بل هم مهملون وغير مقيدون في هذا الجانب، لأن الاتفاقيات المكتوبة هي عبارة عن عادة غربية جديدة دخلت اليابان في السنوات الأخيرة. والغريب أن القليل من الاتفاقيات التي أبرمت بين اليابانيين وغيرهم قد بُحثت أولاً أما الأغلبية فقد أبرمت من غير بحث ولا تمحيص. وفي نظر مثل هؤلاء الناس أن التوقيع على اتفاق هو نوع من التشريفات وأنه

ينبغي نسيان القرارات والتعهدات الواردة فيه[١].

واليابانيون فيما بينهم يتخذون كل الاحتياطات اللازمة عند توقيع أي اتفاق، أما فيما بينهم وبين الأجانب فيكونون على العكس من ذلك، أي بسطاء وسهلين. وأثناء وجودي في الخارج، عمل معي كثير من اليابانيين ومن بينهم محاسبون. أحد هؤلاء المحاسبين أطلعني على فاتورة حساب إصلاح أحد الجدران في السفارة وقد كان السعر الذي دون فيها يساوي عشرة أضعاف السعر المتعارف عليه. من جانبي قلت له أنك لست في اليابان فينبغي عليك أولاً حساب التكاليف وبعد ذلك يمكنك توقيع الاتفاق حتى لا يحدث مثل هذا الأمر. بالطبع، لم تكن تجربة مفيدة بل تكررت في السفارة اليابانية وفي ذلك البلد الأوروبي نفسه تم إخراج سائق من عمله لأنه لم يكن جيداً. بعد مدة جاء السائق ومحام إلى السفارة ليطالب بحقوقه على اعتبار أن فصله من العمل لم يكن صحيحاً. محاسب السفارة، قام بدفع مبلغ كبير له من دون أن يطلب منه التوقيع على ورقة تثبت استلامه لذلك المبلغ.

وفي بولندا عندما كنت أعمل هناك، دعى أحد أصدقائي اليابانيين صديقاً له من البولنديين إلى أحد المطاعم اليهودية. بعد أن جلسا، عرض صديقي الياباني على صديقه البولندي أن يطلب أي

---

(١) لم أقف ومن خلال مطالعاتي في كثير من الكتب حول اليابان على رأي يؤيد رأي المؤلف في هذا الجانب. (المترجم).

نوع من الطعام. بعد الانتهاء من تناول الطعام دفع الياباني قيمة الفاتورة وقد كانت قيمة عالية. عندما عاد إلى منزله لامته زوجته على ذلك قائلة له بأن ما صرفه في المطعم يكفي لمصاريف شهر كامل في البيت. هذا الصديق الياباني نقل لي أنه لم ينم تلك الليلة من جراء ما حدث(١).

عدالة اليابانيين:

من المعروف في أوروبا أن اليابانيين يعتبرون طعمة سائغة للتجار الغير منصفين وأصحاب البارات الطماعين.

فالتمتع بالحقوق والواجبات له معنى بين الغربيين بينما ليس له قيمة بين اليابانيين. ففي اليابان، يمكن إصلاح جدار من دون الاتفاق على القيمة مسبقاً ويندر أن يطلب من قام بالإصلاح مبلغاً أكبر مما هو معمول به. وفي كثير من الحالات، خصوصاً في المطاعم الضخمة، يعبر السؤال عن قيمة الأغذية عن قلة الأدب وعن عدم التربية. كما أن اليابانيين ليسوا طماعين ولا طموحين إلى أموال الآخرين لأنهم عاشوا القرون معتمدين على ما تنتجه أرضهم من غذاء وبالتالي جربوا الحياة الصعبة قليلة الزاد. واليابانيون وخلال

---

(١) معروف أن اليابانية هي المسؤولة عن تدبير أمور المنزل وبالتالي فهي مطلعة عن كثب على التكاليف والأسعار. واليابانيات وخصوصاً المتزوجات واللاتي أصبحن أمهات يفضلن البقاء في بيوتهن على الذهاب للعمل خارج المنزل وترك أولادهن في دور الحضانة. (المترجم).

تاريخهم الطويل، لم يهاجموا جيرانهم كثيراً ولم يكونوا هم موضع هجوم منهم. فالبحر أبعدهم عن الآخرين ودفع بهم إلى الانزواء والوحدة أما عندما جاء إليهم الأجانب استقبلوهم وأظهروا لهم جانباً كبيراً من السخاء والكرم والعطف. وهناك مثل رائج بين اليابانيين يقول «إن اللذة التي تحصل من محادثة صديق جاء من بعيد كبيرة».

قبل سنوات، وصل بحار دانمركي إلى إحدى الموانيء اليابانية. في مكان إقامته في أحد الفنادق سرقت أمواله. اشتكى البحار الدانمركي حاله إلى البوليس وطلب المساعدة. عندما نشرت قصته في الصحافة اليابانية، تدافع الناس إلى مركز البوليس لتسجيل أسمائهم للتبرع. وقد كانت حصيلته النقدية مائتا ألف من الينات اليابانية بعد ذلك رجع البحار إلى بلاده ثرياً.

وحسب التفكير الياباني يعتبر هذا البحار ضيفاً عليهم وأن السرقة التي تعرض لها تعتبر هتكاً لحرمة بلدهم. من هنا يعتبر الياباني نفسه ملزماً بالتكفير عن تلك الجريمة.

التجسس في اليابان:

اليوم كما الماضي، تعتبر الجاسوسية سلاحاً كاملاً في يد كثير من الدول. وفي زمن الحرب، يتنافس المتحاربون والمحايدون في جمع المعلومات العسكرية بأي شكل من الأشكال. وفي أثناء الحرب قبض على رجل ألماني اسمه «ريجارد زوركه» في اليابان

متلبساً بالتجسس لحساب روسيا. وبعد الحرب أيضاً، اعتبرت اليابان أسهل بلد لعمل الجواسيس وجمع المعلومات إذ أن قوانين منع إفشاء أسرار الدولة قد أوقف العمل بها. بالإضافة إلى ذلك، يفتح الياباني قلبه ليقول كل شيء لصديقه الغربي بكل صراحة وصدق وصفاء. ويعتبر الجواسيس الصناعيون اليابان جنة بالنسبة لهم في كل المستويات والمراحل. أما أحد السفراء الأوروبيين الشرقيين فقد قال لي «المؤلف» أن جمع المعلومات في اليابان لا يواجه بأي مشكلة إذ لا مانع من حفظها أو نشرها وإذا ما وقعت في أيدي الصحافة فإنها، أي الصحافة، مخيرة فيما تفعل بها. فاليابانيون في حفظ الأسرار مهملون وعديمو العناية بها والسبب يعود إلى ضعف الشخصية.

وعندما تدور محادثات مهمة وحياتية في وزارة الخارجية، فإن أحداثها تنشر في الصحف اليابانية ويستطيع القارىء أن يجمع معلومات سرية من خلال متابعته لقراءة تلك الصحف.

الديون الخارجية اليابانية:

طيلة سنوات كثيرة، اقترضت اليابان أموالاً من لندن ونيويورك من أجل برامجها الصناعية. من جملة الأموال أو تلك القروض كان قرض قد أخذ بالجنيهات الإسترلينية وصرف على بناء خط سكة الحديد بين طوكيو ويوكوهاما وذلك في سنة ١٩٢٣ م. وقد كانت

اليابان بلداً غير معروف بين المقرضين لهذا كان في ظنهم احتمال عدم إمكانية استرجاع القرض. من هنا، فقد فرض المقرضون أرباحاً عالية على القرض قدرت بنسبة ٩٪ تدفع سنوياً. وقد استمر الحال إلى أيامنا هذه وعلى هذا المنوال. كما أن أوراق الاقتراض اليابانية تباع في أسواق الأسهم العالمية بأقل من قيمتها ولهذا ليست اليابان موضع تقدير واحترام بين الرأسماليين.

واليابانيون يتباهون بأنهم لا زالوا عند تعهداتهم السابقة، أي منذ مائة سنة، بالنسبة للأطراف المقرضة لهم. وأما أثناء الحرب العالمية الثانية فقد أوقفت اليابان دفع ديونها المترتبة عليها بالدولار الأمريكي والجنيه الإسترليني والتي كانت تبلغ المليارات.

وفي سنة ١٩٥٢ م وبعد توقيع معاهدة الصلح، تباحث المقرضون في نيويورك ولندن حول استرجاع قروضهم وأرباحها. الألمان رفضوا دفع الأموال التي فرضها المقرضون إلا بعد أن خفضت إذ اعتبروها غير عادلة. أما اليابانيون فقد وافقوا على دفع ما قد تقرر في نيويورك ولندن من غير أية مقاومة أو شكوى، بل أن اليابانيين وافقوا على دفع ديون البلدان التي كانت تحت سيطرتهم مثل كوريا ومنشوريا وتايوان في حين أن القوانين الدولية تلزم الفاتحين الجدد لمثل تلك البلدان بتحمل ديونها وتحمل الغرامات الناتجة عن التأميم.

والحكومة اليابانية عملت بكل صدق من أجل الوفاء بتعهداتها

وفي تصورها أنها سوف تكسب سمعة واعتبارات مستقبلية ولكن الذي حدث هو العكس من ذلك[١].

الضرائب على الأجانب في اليابان:

على الرغم من وجود نظام ضرائبي متكامل في اليابان إلا أن التوجه هو لأخذ الضرائب المباشرة. أما الأجانب فلا تجري عليهم الأنظمة الضرائبية بشكل دقيق إضافة إلى كون هذه الأنظمة معقدة مما يسهل على الأجانب التملص منها. ويتوجب على الشركات الكبرى الأجنبية دفع الضرائب إلا أن الأجور والرواتب لا تدخل ضمن المعادلة ولهذا يجد الأجانب طرق مختلفة للفرار من الضرائب إذ ليست هناك قوانين وعقوبات واضحة في هذا الجانب. إذاً، هناك مسالك وطرق مختلفة بالنسبة للأجانب للتخلص من دفع الضرائب بالإضافة إلى أن جامعي الضرائب يتغاضون عنهم.

وفي الولايات المتحدة الأمريكية يقوم الأجانب، وحتى المقيمين منهم لمدة قصيرة، بمراجعة دائرة الضرائب. وقبل الخروج

---

(١) تتمتع اليابان بقدرة إقتصادية هائلة في الوقت الحاضر. فبينما كانت دولة مستدينة أصبحت دولة دائنة، بل إنها تمتلك بالإضافة إلى ذلك ما يقارب المائة مليار دولار كإحتياطي ودون الممتلكات في دول العالم المختلفة. ولكن وبالرغم من تلك المكانة الإقتصادية العظيمة إلا أن «الين» لم يصبح عملة عالمية متداولة والسبب يرجع إلى ضعف اليابان في مجالات كثيرة ومنها المجالين السياسي والعسكري. (المترجم).

من أمريكا لا بد أن يثبتوا أنهم أتموا جميع المعاملات المرتبطة بالضرائب وإلا لما تمكنوا من الخروج منها. أما اليابان فليس بها مثل هذه المقررات ويمكن لأي فرد أجنبي يريد ترك البلاد أن يتركها من غير أن يثبت مراجعته لدائرة الضرائب. والواقع، أن هناك تغاض عن الأجانب في كثير من الأمور في اليابان. أما النظام الضرائبي فيمتاز بالإهمال من قبل الحكومة في قبالة الأجانب.

والحكومة اليابانية مثلها مثل غالبية الحكومات تحمل شكوكاً حول افتتاح فروع للبنوك الأجنبية في اليابان. وإذا ما تمكن أحد البنوك الأجنبية من افتتاح فرع له في اليابان فإن بنكاً يابانياً يمكنه أن يفتتح فرعاً له في ذلك البلد الأجنبي. إلا أن وزارة المالية اليابانية مقصرة في هذا الجانب. إن ما يحدث للبنوك الأجنبية في اليابان يثير الاستغراب إذ أن جامعي الضرائب اليابانيين لا يذهبون إلى تلك البنوك للتدقيق والمحاسبة، بل لا يذهبون بتاتاً. لذا ومنذ ١٩٤٥ م لم تتم مراجعة حسابات البنوك الأجنبية حتى ولا مرتين. أما البنوك اليابانية فهي بشكل دائم تحت المحاسبة ومديروها يتوجب عليهم الإجابة على أسئلة موظفي البنك المركزي الياباني أو وزارة المالية. والجدير بالذكر أن مثل هؤلاء الموظفين لا يقومون بزيارة البنوك الأجنبية حتى يحس أصحابها بالصداقة التي يكنها اليابانيون لهم ومن جانب آخر يخاف بعض الموظفين اليابانيين من أولئك.

الشركات الأجنبية في اليابان:

في السنوات الأخيرة، تم تشكيل شركات مشتركة، يابانية أجنبية، للعمل في اليابان. وفي مثل هذه الشركات يكون رأسمالها

متشكلاً من غالبية يابانية أي أكثر من نسبة ٥٠٪. إلا أنه غالباً ما كانت تكتب تقارير الجلسة العمومية وجلسات الإدارة العامة أو هيئة المدراء باللغة الإنجليزية كما أن المدراء اليابانيين يقبلون بهيمنة المدراء الأجانب.

وينبغي أن تخضع الشركات المتعددة الجنسية والمتواجدة في اليابان لقانون الشركات التجارية اليابانية. كما تحسب كشركة يابانية خاضعة للقوانين والمقررات في اليابان. إلا أن قبول اليابانيين كتابة محاضر الجلسات باللغة الإنجليزية معناه حصول الشركاء الأجانب على امتيازات أكثر من اليابانيين بالرغم من تمتع اليابانيين بنصيب أكبر من عدد الأسهم. وإضافة إلى ذلك، كون الإدارة في أيدي الأجانب معناه ترجيحهم لمصالحهم على مصالح اليابانيين.

إن ما يحدث في اليابان في هذا الجانب هو عكس ما يحدث في بعض من دول آسيا. لقد وضعت هذه الدول قوانين وشروطاً صعبة بالنسبة لأموال الأجانب أي أممتها من دون أن تدفع خسائر أو غرامات.

الاشمئزاز من الأجانب:

الحقيقة أن هناك فترات من الزمن في التاريخ الياباني الأخير، شهدت استهانة وعدم احترام للأجانب من جانب اليابانيين. إلا أن

هذه الموجات من الكراهية والاشمئزاز للأجانب اختفت من كل اليابان بعد الحرب العالمية الثانية. وعدد كبير من الأجانب عملوا كجواسيس في اليابان، إلا أن البوليس السري كان يتابع تحركاتهم ومن ثم ألقى القبض عليهم وألقى بهم في السجون. وتجدر الإشارة إلى أنه حتى في فترات الكراهية والاشمئزاز للأجانب كان اليابانيون يحملون في أرواحهم وقلوبهم صداقة وحباً لهم. ففي سنة ١٩٤١ م وعندما كانت الحرب قائمة، قبض على الأمريكيين والإنجليز ووضعوا في معسكرات خاصة باعتبارهم مواطني دولتين عدوتين، إلا أن أصدقاءهم من اليابانيين كانوا يحملون لهم الطعام متحملين في ذلك المخاطر وذلك باجتيازهم الأسلاك الشائكة، وبالرغم من حاجتهم الماسة للطعام.

وخلاصة، لقد ترسخت حالة الاشمئزاز والكراهية في فكر اليابانيين تجاه الأجانب إلا أنها ونتيجة للسيطرة المؤقتة للأمريكيين على اليابان بعد الحرب العالمية الثانية ونشوء عقدة الحقارة بشكل مركز اختفت بسرعة.

وفي أيامنا هذه، أقيمت الروابط على مختلف المستويات بين الدول فتبودلت الزيارات على المستويات العليا وخصصت مقاعد للطلاب كما نظمت الرحلات الاستطلاعية. إلا أن اليابانيين غالوا في ذلك حيث سمحوا بأكثر من اللازم كما تعاملوا بكرم وسخاء منقطعي النظير.

وإذا دعي أحد الأجانب ممن يتمتع بشهرة سواء كان مسؤولاً

كبيراً في دولة أو عالماً أو محققاً أو مندوباً في المجال التجاري أو الصناعي فإن اليابانيين يتكفلون بكل مصروفاته من السكن والغذاء ناهيك عن مرافقة شخصين له وحصوله على هدية نفيسة في نهاية الرحلة.

الدعوات الدبلوماسية والإنفاق من أجل المكانة:

في السنوات الأخيرة أوجد اليابانيون اصطلاح «الدعوة الدبلوماسية». وتعني دعوة رجال الدبلوماسية المهمين في العالم كجزء من الفاعلية الدبلوماسية لليابان.

لنأخذ مثالاً على ذلك دورة الألعاب الأولمبية التي أقيمت في طوكيو عام ١٩٦٤ م. كان اليابانيون يأملون في تعريف بلادهم للأجانب بشكل أوسع. لذا كانت رغبتهم في إقامة الدورة الأولمبية في بلادهم مؤثرة ومثيرة جداً. ففي البداية رفضت اللجنة الأولمبية إقامة الدورة في طوكيو وكان عذرها يتمثل في كون اليابان بلداً بعيداً جداً مما يتعذر على الدول الصغيرة الحضور. ولكن اليابانيين أنفقوا ملايين الدولارات من أجل مشاركة مختلف الدول. كما قام اليابانيون بإرسال مندوبين من ذوي الرتب العالية لإقناع تلك الدول بالمشاركة في الدورة.

وعندما أريد انتخاب الدولة التي ستقام فيها دورة الألعاب الأولمبية رفضت بعض الدول الصغيرة والبعيدة جداً انتخاب اليابان تحت تأثير التكاليف الباهظة بسبب المسافات الكبيرة بينها وبين

اليابان. واليابانيون، ومن أجل الحصول على موافقة تلك الدول، اقترحوا المشاركة في التكاليف.

بعد اختتام الدورة الأولمبية التي أقيمت في طوكيو عام ١٩٦٤ م طرح اليابانيون فكرة إقامة معرض دولي في أوساكا سنة ١٩٧٠ م. وكان هدف اليابانيين من ذلك هو محاولة رفع مكانة اليابان بين الدول. والجدير بالذكر أن اليابانيين لا تهمهم التكاليف الضخمة في هذا السبيل.

واليابانيون عندهم ميل كبير إلى دعوة المنظمات العالمية للمشاركة في المؤتمرات التي تقام في طوكيو. ومقار هذه المنظمات والمؤسسات الدولية هي في عواصم الدول الأوروبية وغالباً ما تقيم مؤتمراتها السنوية فيها. ويدفع اليابانيون كثيراً من أجل مشاركة تلك المؤسسات والمنظمات في المؤتمرات التي تقام في اليابان. لأن الذين يحضرون إلى اليابان تلبية للدعوات ليسوا هم من كبار المسؤولين في تلك المنظمات والمؤسسات فقط وإنما تحضر حتى الضاربات على الآلات الكاتبة والمترجمين والمترجمات وغيرهم. وبالطبع تقوم الحكومة اليابانية بتقديم الهدايا الثمينة لكل الحضور. ويقابل كل ذلك رضى شعبي تعبيراً عن الكرم والسخاء وإرضاءً للغرور الوطني.

وفي نظري «المؤلف» يعبر هذا الرضى الشعبي عن مثل هذه المصاريف الباهظة عن الإحساس غير المتعادل وغير المتساوي الذي يحمله اليابانيون تجاه الأجانب والناتج عن فترة ما بعد الحرب

العالمية الثانية والسيطرة الأمريكية على اليابان، أي الناتج عن عقدة الحقارة تجاهِ الأجانب.

طوكيو مدينة ضخمة تدعى العاصمة

أول ما يصادفه المسافر لليابان:

يصاب المسافرون إلى اليابان بخيبة أمل بمجرد وصولهم إليها، إذ أن أطراف مطار هانيدا ومينائي يوكوهاما وكوبيه ليست جذابة بعكس الدول الأخرى. وكما يصاب المسافرون بخيبة الأمل، يصابون بالحيرة والاستغراب إذ يرون طوكيو مدينة سيئة عظيمة الازدحام والضجيج.

ولقد رأيت «المؤلف» عدداً لا يحصى من الدبلوماسيين الأجانب، والذين حضروا لأول مرة لليابان، يتركونها بمجرد انتهاء مهماتهم الرسمية الدبلوماسية لشدة ما أصابهم من خيبة أمل.

وعندما يترك المسافرون الأجانب مطار هانيدا إلى مدينة طوكيو مستخدمين في ذلك الخطوط السريعة المعلقة والمشادة في الغالب قرب الروابي فإنهم يشاهدون ازدحام الناس والبيوت السيئة الحقيرة

المكونة من طابق واحد تحتهم. وهذه علامة على جمع الأضداد في طوكيو.

وإذا نظرنا عن بعد فإننا نشاهد أبنية هنا وهناك وغير واضحة المعالم، إنها تناطح السحاب. أما إذا تحققنا منها فلا نجد غير أعمدة شبكة الكهرباء والتي تمزق أسلاكها منظر السماء خصوصاً إذا ما نظرنا إليها من أسفل.

وعند مقايسة المدن اليابانية بمثيلاتها الأوروبيات والأمريكيات فإننا نجدها مليئة بالغبار والتراب وبالناس، كما أنها تفتقد إلى الروح والوسائل الأولية الضرورية للحياة. أما شوارع اليابان وبالرغم من ترميمها أو إعادة بنائها فإن غالبيتها لا زالت مظلمة وغير مرصوفة وصعبة العبور.

ما يمكن مشاهدته في طوكيو:

لا يمكن مقايسة شوارع طوكيو بشوارع نيويورك أو شوارع باريس المليئة بالأشجار والسبب في ذلك يعود إلى الزيادة العظيمة في تردد وسائل المواصلات في السنوات الأخيرة.. وفي هذه الأيام، تمت توسعة بعض الشوارع بعد أن هدمت بعض المنازل الشخصية كما تم إنشاء بعض الشوارع الجديدة وبعض الشوارع السريعة. إلا أنها تبقى وإذا ما قيست بشوارع أوروبا وأمريكا شوارع مظلمة وضيقة.

ولم تبقَ أية آثار في طوكيو سوى جدران وآبار الماء التابعة لأحد

القصور في مدينة طوكيو القديمة والتي اسمها «ايدو ـ Eddo» وترجع إلى ما قبل ثلاثمائة سنة، أما حدائق طوكيو فأغلبها يفتقد للخضرة والزهور ولا يمكن مقارنتها بحدائق العواصم في الدول الأخرى. وحتى الحديقة المركزية في طوكيو والتي تسمى «هيبيا ـ Hibiya» لا يمكن إطلاق اسم حديقة عليها لضيقها وازدحامها كما أنها تفتقد للعناية وتشتكي من قلة الترتيب وقلة الزهور.

ومنذ القدم، اتخذ اليابانيون المعابد لا لتأدية المراسم الدينية فقط وإنما للترفيه وتمضية الوقت إذ أن بعضها يمتاز بسعته وطراوته. ومعبد «ميجي ـ Meiji» يعتبر واحداً من تلك المعابد الواسعة والتي يتخذها الناس مكاناً لتأدية المراسم الدينية ومكاناً للنزهة والترفيه.

ويزور السواح الأجانب من جميع أطراف الدنيا معبد «اسيه» الذي يحتوي على مجموعة من المجسمات ويقع في وسط جزيرة هونشو. المجسمات تمثل ملائكة الشمس وهم بناة الأمبراطورية في اليابان حسب الأسطورة.

والحدائق العامة في طوكيو مقتبسة من الغرب لهذا لا يمكن لليابانيين الحفاظ عليها ورعايتها. وكما لا يمكن لليابانيين الاستفادة من الطراز المعماري الغربي فإن الغربيين بالمقابل لا يمكنهم الاستفادة من الطراز المعماري الياباني. فمثلاً لو قام أحد الغربيين ببناء بيت على الطراز الياباني فإن النتيجة سوف تكون مضحكة بالنسبة لليابانيين والعكس صحيح أيضاً فلو قام اليابانيون بإنشاء حديقة على الطراز الغربي فإن الناتج لن يكون جيداً جداً. وعلى هذا

الأساس وبالرغم من وجود مهندسين معماريين متخصصين معاصرين إلا أن المباني الجديدة في طوكيو فاقدة لكل الخصوصيات مما لا يمكن معه اعتبارها جزءًا من فن البناء الأصيل. وأكثر من ذلك، تفتقد المباني الحديثة المشادة في طوكيو لكل مظاهر الجمال والظرافة.

نهر السين في طوكيو.. كيف؟

يشق نهر «سوميدا ـ Sumida» العاصمة اليابانية طوكيو ويزداد تلوثاً يوماً بعد آخر من جراء مجاري المدينة ومخلفات المصانع، كما أن لونه صار أسوداً كلون الغراب. أما على ضفتيه، فقد شيدت المصانع والمؤسسات التجارية والبيوت الفقيرة مما لا يمكن مقارنة ذلك بما شيد على ضفاف نهر التايمز في لندن ونهر هودسون في نيويورك ونهر السين في باريس. وكلما ازددنا بعداً عن مركز طوكيو كلما ازدادت الشوارع ظلمة وقذارة، كما أن البيوت الواقعة على جوانب تلك الشوارع غالباً ما تكون صغيرة ومتشابهة ولا تمتاز بالجمال. أما سعة شوارع وأزقة طوكيو فلا تزيد عن نصف سعة أمثالها في المدن الأمريكية على الرغم من وجود أكثر من مليون مركبة تجوبها ذهاباً وإياباً. ويتصل ما يقارب من ٢٠٪ من البيوت والمباني في طوكيو بالشبكة العامة للمجاري، أما المياه الصالحة للشرب فلا تكفي لكل الساكنين فيها. إذاً، هذه المدينة المزدحمة بالسكان والتي لا تمتاز عن مثيلاتها في اليابان هي العاصمة اليابانية. وقد كانت كيوتو عاصمة لليابان قبل طوكيو. فيما كانت ناراً عاصمة

لليابان قبل كيوتو. ويرجع تاريخ نارا إلى القرن العاشر. أما طوكيو فهي سيئة حظٍ على اعتبار تعرضها للخراب والدمار مرتين. ففي المرة الأولى تعرضت إلى هزة أرضية وحريق في عام ١٩٢٣ م مما أودى بحياة (١٥٠٠٠٠) نسمة. وفي المرة الأخرى، أي أثناء الحرب العالمية الثانية، ألقيت عليها قنابل حارقة مما أدى إلى اشتعال النيران فيها وإحداث دمار وخراب مروعين. بعد ذلك أعيد بناءها ولكن المتخصصين والمهندسين المعماريين لم يبذلوا جهداً كافياً ولم يستفيدوا من التجارب السابقة مما جعل مظهر المدينة بعد بنائها كالسابق. والمحصلة هي أن أقيمت البنايات هنا وهناك، إلا أنها بقيت في مظهرها كقرية مزدحمة بالسكان.

أما ضواحي طوكيو وأطرافها فهي لا تقل ازدحاماً بالسكان ولا تقل ظلمة عن طوكيو نفسها. كما أنها، أي الضواحي والأطراف، تزداد ازدحاماً يوماً بعد آخر والمسؤولون في البلديات لا يأملون بتحسن الوضع. المنظر الجميل والجذاب لطوكيو هو منظرها الليلي إذ يملأها النور وتصبح اوينو وشيبويا وجينزا مناطق ومحطات للفرجة والتسلية والترفيه.

وعلى العكس من أزقة وشوارع أمريكا وأوروبا فإن أزقة وشوارع طوكيو تغرق في الأضواء ليلاً بسبب الإضاءة التي تنتشر من المحلات التجارية والدكاكين. بهذا الشكل تصبح شوارع طوكيو في الليالي بلا نظير ولا منازع لها في أي بقعة في الدنيا.

سكان مدينة طوكيو:

في نهاية الحرب العالمية الثانية، نقص عدد سكان طوكيو إلى ثلاثة مليون نسمة. ولكن عددهم، الآن وصل إلى إحدى عشر مليوناً، أي أن طوكيو تمتاز بأكبر كثافة سكانية في العالم. لذا فإن المساحة المتاحة للشخص الواحد في طوكيو هي (٤, ٠) من المتر المربع بينما يتمتع مثيله في باريس بـ (٨,٧) متراً مربعاً وفي لندن بـ (٩,٢) متر مربعاً وفي نيويورك بـ (١١,٩) متراً مربعاً وفي واشنطن بـ (١٥,٢) متراً مربعاً. ومن جهة أخرى أدت الكثافة السكانية في طوكيو إلى تدني مستوى الخدمات الصحية كما أوجدت مشاكل متعددة في خدمات توفير الماء. فمثلاً رجال إطفاء الحرائق في طوكيو يواجهون صعوبات في توفير الماء كلما شب حريق فيها وتزداد المصاعب كلما ازدادت الفصول جفافاً. كما يعاني رجال الإطفاء من العتمة والظلمة في الشوارع والأزقة. أما ازدحام شوارع طوكيو فيؤدي إلى إعاقة عمل رجال جمع القمامة. وتبقى أكياس القمامة لأيام كثيرة في الشوارع وعلى الأرصفة نتيجة للكميات الهائلة منها. كما أن سيار . البلدية لا تجمعها بشكل يومي لكثرتها. أما وسائل التخلص من الزبالة أو نقلها من مكان إلى آخر فليست كافية للكميات الهائلة التي يخلفها إحدى عشر مليوناً من البشر والذين يسكنون في طوكيو. والحدائق العامة تتحول إلى أماكن قذرة بعد أن يقضي فيها الناس عطلاتهم وذلك لقلة وجود أوعية جمع الزبالة فيها. كما أن اليابانيين لا يتعبون أنفسهم في جمع الزبالة فيرمون بها في الأماكن التي يجلسون فيها بالإضافة إلى أن أماكن

جمع القمامة في الأماكن العامة ليست موجودة وإذا ما وجدت فإنها قليلة ونادرة. وتعاني القطارات التي تسير بين المدن من مشكلة القمامة إذ يحتاج جامعي القمامة فيها إلى إعادة تنظيفها مرات ومرات طيلة مدة سيرها وحركتها بين المدن. وبعض ركاب هذه القطارات يرمي بالزبالة إلى الخارج بدون أن يعطي بالاً لذلك.

والجدير بالذكر أن اليابانيين متصفون بالنظافة بل يعشقونها، لذا فهم يقومون بالاستحمام اليومي، كما أنهم يقومون بتنظيف بيوتهم يومياً أيضاً. وبشكل عام، يسيطر وسواس النظافة على اليابانيين إلا أنهم ينسون ذلك عندما لا يرتبط الأمر بنظافة أبدانهم وبيوتهم. أي أنهم لا يعتنون بنظافة الوسط المحيط بهم خارج بيوتهم. وهناك مثل عامي في اليابانية يقول: «لا تخجل في السفر» ومعناه، اعمل ما شئت في السفر من دون أن تحس بالخجل والحياء. والواقع أن ليس هناك وصف أدق لتصرف اليابانيين في الأماكن العامة وفي الأسفار من هذا المثل.

والياباني يعاني من العنت والشدة من جراء التعليمات التي يتلقاها من عائلته خصوصاً فيما يخص الضيوف والزوار. فيطلب من الطفل الياباني مثلاً أن يجلس بكل هدوء وأن يتصرف بكل أدب واحترام وأن يتحدث بصدق في حال وجود ضيف أو زائر. أما الفتاة اليابانية فإن عليها أن تظهر بمظهر المتزن والعطوف والودود حتى لا تصبح في موقع السخرية والاستهزاء من قبل الآخرين. وحتى بعد زواجها، عليها أن تكون موضع قبول والدي زوجها أو عائلتها عندما تريد أن تتحدث. وقبل الحرب، كان يطلب من الفتاة أن تنام على

طرفها الأيمن وأن لا تفتح ما بين ساقيها أثناء النوم. كما أن هناك آداب وسنن يتعلمها اليابانيون للتعامل في البيت أو في خارجه. لذا فإن الياباني يشعر بالراحة والحرية عندما يكون في سفر أو رحلة وبعيداً عن تطبيق تلك الآداب والسنن التي تعلمها من والديه.

وإذا ما ذهب أحد الجنود إلى جبهات الحرب في بلدان جنوب شرقي آسيا فإنه من الممكن أن يرتكب كل الجرائم إلى درجة أنه يمكن وصفه بالسفاك أو بالخشن. لأنه بالتالي خارج بيته ووطنه فلا يشعر بأي حرج أو خجل من جراء ارتكاب أي جريمة. وهذه الفكرة تنطبق على عدم اهتمام اليابانيين بنظافة البيئة من حولهم إذ أنهم يعتبرون أنفسهم خارج بيوتهم. كما أن حب الذات وعدم رعاية أصول الأدب وعدم احترام الآخرين تعتبر من الصفات التي يتميز بها اليابانيون في وسائل النقل العامة. والعجيب أن مثل هذه الروحية اللاإجتماعية لا يخلو منها إلا أولئك الذين لهم مراكز اجتماعية رفيعة.

ويمكن للإنسان أن يشاهد إلى أي حد تصل فيه الأوساخ والقذارة في شارع «برودواي» في نيويورك وهو شارع رئيسي فيها خصوصاً في أمسيات أيام السبت أي ليالي الأحد وهي ليالي العطل الأسبوعية.

كما أن شوارع كثيرة في المدن الأوروبية، تقوم الآليات بتنظيفها بشكل دائم على الرغم من سعتها والتي في الغالب تكون ضعف سعة

شوارع طوكيو. ولقد رأيت بعض شوارع لندن تملأها فضلات الحيوانات ناهيك عن الزبالة التي يخلفها الإنسان. إلا أنه وبالرغم من كل ذلك، لا يمكن مقارنة شوارع المدن الأوروبية بما يحدث في شوارع مدينة طوكيو.

هل اليابانيون أمة مسرفة؟

يسرف اليابانيون في بعض المواقع أو المواضع، فمثلاً، يرمي اليابانيون بأواني طعامهم بعد استخدامها مرة واحدة (بالطبع الأواني هنا بلاستيكية أو خشبية أو ورقية وعادة تستخدم في الرحلات والأسفار ويطلق عليها في الغالب «بنتو»). كما يلقون بقسم مهم من الخبز حتى ولو استخدم مرة واحدة فقط.

أما الورق، فاليابانيون يستهلكون كميات كبيرة منه وبشكل مفرط، وأصحاب المحلات التجارية يدخلون في حالة تنافس شديد في هذا الجانب. وطبقاً للآداب والتقاليد اليابانية فإن أي سلعة يشتريها الإنسان من أي محل يقوم البائع بلفها خصوصاً إذا كانت هدية. لأنه وحسب تلك الآداب والتقاليد يعتبر تقديم الهدية بدون أن تكون مغطاة شيئاً معيباً. وتشكل مثل هذه السنن والتقاليد مشكلة للذي يحصل على هدية إذ عليه أن يفتحها أمام الذي أهداه إياها ليشاهدها أمامه ومن ثم ليقدم له الشكر والاحترام. وهذا مثال على تواضع اليابانيين بل وفوق ذلك هو مثال على اشمئزازهم للظهور

بمظهر التكبر والعجب بالنفس[1].

ازدحام سكاني في طوكيو:

بسبب التضخم السكاني في المدن الأخرى اليابانية، تشهد مدينة طوكيو أعداداً هائلة منهم وبشكل مستمر. وفي السنوات الأخيرة أي ما بين ١٩٧٠ ـ ١٩٧٥، شهدت طوكيو زيادة سنوية تقدر بـ (٢٢٠٠٠٠) نسمة أي ما يعادل عدد سكان مدينة جنيف في سويسرا، وتتسبب الزيادة السكانية في نقص المساكن ونقص المياه الصالحة للشرب كما تتسبب في المشاكل المرورية.

---

(١) من الأخلاق اليابانية المعروفة والتي لعبت دوراً هاماً في التراكم المالي في الوقت الحاضر هو التوفير وهناك اصطلاح ياباني معروف «Mottainai» ويرجع إلى جذور دينية. حيث يعتبر اليابانيون أن كل شيء في الكون هو دَيْنٌ ويجب الاستفادة منه جيداً وإن الإسراف في استخدامه يرتقي إلى مستوى الخطيئة. أما استهلاك الورق والذي يبدو واضحاً جداً في اليابان فإن اليابانيين يقومون بإعادة الاستفادة منه بعد استخدامه بمعدل ٥٠٪ بينما لا تزيد النسبة في أمريكا عن ٢٧٪ وفي فرنسا لا تزيد عن ٣٤٪ وفي بريطانيا لا تزيد عن ٢٨٪ وفي ألمانيا لا تزيد عن ٣٨٪ وفي هولندا لا تزيد عن ٤٦٪ وذلك في سنة ١٩٨٤ م. كما أن بعض اليابانيين يستخدمون أكياساً متعددة من أجل فرز القمامة ليسهل فيما بعد الاستفادة منها بالشكل الصحيح.
للمزيد راجع كتاب «Made in Japan» لمؤلفه «Akio Morita». (المترجم).

وأكثر ما يجتذب الناس إلى طوكيو هو رقي مستوى المعيشة فيها، فطوكيو تحتضن ثلثي الشركات الصناعية والتجارية والخدماتية كما يوجد فيها ثلث مؤسسات التعليم العالي والوزارات والمؤسسات الحكومية.

وتوجد في طوكيو الفنادق الفخمة والتي تتفوق في فخامتها وعظمتها على فنادق أوروبا، كما أنه يوجد في طوكيو مطاعم مختلفة إضافة إلى المطاعم اليابانية والأوروبية. فمثلاً، هنا المطاعم الإيرانية والهندية والروسية وحتى اليهودية وبشكل كبير.

وأي شيء يباع في نيويورك ولندن، فإنه يباع في طوكيو. فتوجد أدوات التجميل والعطور الباريسية وأدوات لعبة البولنج وسيارات الليموزين الأمريكية والطائرات الشخصية واللوحات الفنية وقطع الأثاث القديمة. وكما توجد الأشياء، يوجد المشترون. ولم تشهد طوكيو ثراءً مثل هذا الثراء من قبل. وتحولت طوكيو إلى مركز سياحي دولي كبير إذ أنها تشهد سيلاً كبيراً من السواح الأجانب سواء الذين يأتون للسياحة أو للعمل.

وتضم طوكيو سوقاً ضخماً والذي تزداد أعداد مستهلكي موجوداته. ويوجد فيه ما يقارب (١٥٠٠٠٠) محلاً مختلفاً ويعمل بها ما يقارب المليون نسمة أي ما يعادل عشر مجموع سكانها.

مستوى الدخل في طوكيو:

تؤمن مدينة طوكيو ما نسبته ٢٢٪ من مجموع الدخل القومي في اليابان. فالأعمال التجارية والصناعية والخدماتية تزداد يوماً بعد آخر

في هذه المدينة العظيمة. كما أن كثيراً من المزارعين الذين كانوا من ذوي الدخل المنخفض في سنوات ماضية أصبحوا هذه الأيام من أصحاب الملايين والثروات.

وخلال السنوات العشر الماضية، ارتفعت قيمة الأراضي في طوكيو بنسبة ٢٠٪ على الأقل. ولم يبقَ فيها مكان إلا وامتلأ بالناس. حتى أن وادي «كانتو ـ Kanto» تدفق عليه السكان الجدد بسرعة كسرعة النار في الهشيم ولكن من غير مشاكل ولا متاعب كثيرة، إذ كانت هناك برامج إسكان وتعمير.

ومن أجل إعاقة تدفق المهاجرين من المدن الأخرى على طوكيو وضعت برامج كثيرة وعلى رأسها العمل على عدم تمركز معظم الأعمال الرئيسية فيها أي القيام بتوزيع الصناعات والشركات على المناطق الأخرى. إلا أن هذه البرامج لم تصل إلى نتائج نهائية. فالمسافة لا زالت شاسعة بين مستوى المعيشة في طوكيو ومستوى المعيشة في بقية المناطق اليابانية وإن طي هذه المسافة عمل ليس بالبسيط أو السهل.

ويؤدي الاختلاف الكبير في مستوى المعيشة بين طوكيو وغيرها من المدن والمناطق إلى عزوف أولئك الذين قضوا مدة في طوكيو عن العودة إلى مناطقهم ومدنهم. وتشهد طوكيو توسعاً عظيماً ولكنه غير مبرمج. وإذا كانت طوكيو مدينة غير جذابة من الناحية المعمارية

والمدنية إلا أنها مدينة مزدحمة ومتنوعة تنوعاً هائلاً.

وخارج مركز طوكيو وبالقرب من القصر الأمبراطوري، هناك تقع عاصمة غربية الطراز. والتوسع في مناطق طوكيو البالغ عددها (٢٣) منطقة تجارية وسكنية مستمر أما خارج هذه المناطق فيمكن مشاهدة الخصوصيات اليابانية الكاملة. إذ يمكن مشاهدة البيوت اليابانية المكونة عادة من طابقين ولكنها لا تتجاوز ارتفاع طابق لبيت من البيوت الأوروبية.

المباني اليابانية الأصيلة:

تبنى البيوت اليابانية الطراز من الخشب والجص ولشدة حقارتها فإنها تشبه بيوت الكلاب، كما أن بناءها وتخريبها سهلان جداً. ومظهر الأزقة في المدن اليابانية في تغير دائم والسبب في ذلك يعود إلى هدم البيوت القديمة وإقامة بيوت جديدة بدلاً عنها في مدى ليلة واحدة تماماً كالمشروم الذي ينبت من الأرض مخضراً.

إن عدم الاستفادة من خصوصيات المواد المستعملة في المباني الكبيرة والمقاومة ينتج عنه تعرض المساكن اليابانية للخراب والدمار عند حدوث الزلازل وما ينتج عنها من حرائق. وبالتالي يجبر أصحابها على إعادة بنائها مرة أخرى. بالطبع، في السنوات الأخيرة، بدأ أصحاب المحلات التجارية وأصحاب بيع الملابس وغيرهم بالتوجه نحو البناء الغربي أي نحو الاستفادة من مواد البناء المستخدمة في المباني الضخمة والراقية.

وأسباب بناء البيوت من الخشب راجعة إلى كون اليابان واقعة على خط الزلازل مما يجعلها بشكل دائم معرضة للهزات الأرضية وارتفاع مستوى المياه أو الفيضانات والطوفان، كما أن البيوت في اليابان بشكلها الياباني متناسبة مع الظروف الطبيعية كالماء والهواء ومع التاريخ أمور أخرى خاصة باليابان. واليابانيون، بشكل عام، مرتبطون بالطبيعة ارتباطاً كاملاً كما أن حرارة الصيف تتطلب منهم فتح نوافذ بيوتهم على الهواء الطلق حتى لا يكاد يكون هناك فرق بين الطقس داخل البيت وبين الطقس خارجه.

والحياة في اليابان صعبة ومخيفة بسبب تعرضها للزلازل والطوفان لذا يرجح اليابانيون التعايش مع الطبيعة بسلام حتى تتم السيطرة عليها كاملاً ومن ثم استخدامها في صالحهم. بالطبع، قد يكون هذا النوع من التفكير بالنسبة للإنسان الغربي شيئاً ساذجاً وبسيطاً، أما بالنسبة للياباني فهو جزء من حياته. وإذا ما تعرضت منطقة للزلازل أو الطوفان فإن الياباني ينحني لذلك حتى ينتهي كل شيء وبعدها يبدأ حياته مرة أخرى أو يستأنف الحياة مرة أخرى.

ولا تعمر البيوت اليابانية أكثر من أربعين عاماً ـ بعض المعابد البوذية عمرت لعدة قرون ـ والسبب يعود إلى تعود اليابانيين على إعادة بناء بيوتهم بين مدة وأخرى كما جرت عادتهم على فتح أبواب بيوتهم ونوافذها لكي تمر من خلالها التيارات الهوائية لتزيل منها الرطوبة والروائح الناتجة عن القدم.

وقد تحدثت سابقاً عن معبد «ايسه ـ Ise» وهو معبد عظيم

ويجدد بناءه كل عشرين سنة وذلك باستخدام خشب جديد. بالطبع، يبقى التصميم لا يتغير، لذا فهذا المعبد لا زال محتفظاً بنفس المظهر وعلى مدى عدة قرون.

ويستخدم اليابانيون الأعواد الخشبية في تناول الوجبات، وهم على العكس من الغربيين إذ يرمون بالملاعق والسكاكين وبالأعواد الخشبية جانباً حتى وإن لم تستخدم في تناول الطعام إذ في اعتقادهم أنها قد اتسخت.

أما معابد الشنتو فالنظافة فيها خارقة للعادة أو على الأقل غير اعتيادية إذ يلحق بكل معبد مصب ماء ليغسل فيه الزائرون للمعبد أفواههم وأيديهم قبل أداء العبادات.

التجديد عند اليابانيين:

مع مرور الوقت، قام اليابانيون بإنشاء مبان ضخمة وكبيرة ولكن يمكن القول وبدون تردد أن التجديد في الفكر الياباني لا زال غير واضح، والمثال الواضح على ذلك هو اختيار موقع المطار الدولي الجديد.

فنتيجة للازدحام الذي يشهده مطار هانيدا الدولي أصبح من الضروري إشادة مطار آخر يفي بالاحتياجات الفعلية. وفي البداية خصصت الحكومة أرضاً تعادل سبعة أضعاف الأرض المشاد عليها مطار هانيدا وذلك في مقاطعة شيبا. سكان المنطقة رفضوا ذلك مما عطل المشروع. بعد ذلك اتخذت الحكومة قراراً ببناء المطار في

منطقة تقع على بعد خمسين كيلومتراً شمال غرب طوكيو. والغريب أن الأرض الجديدة لا تزيد عن نصف مساحة الأرض التي خصصت في منطقة شيبا. ومن الواضح أن مثل هذا المطار لن يفي بالاحتياجات المستقبلية وسوف يواجه مشاكل كثيرة في عصر الطائرات الضخمة.

وفي البلدان التي تتمتع بأعداد كبيرة من السكان فإن مشاريعها لا بد أن تكون ضخمة وبالتالي فهي بحاجة إلى أراض واسعة. إلا أن اليابانيين لديهم علاقة كبيرة بالمشاريع المؤقتة والنصف كاملة ومن دون التفكير في الاحتياجات المستقبلية.

ولا تتمتع المدن اليابانية بما فيها طوكيو بضوابط وقوانين في البناء وغيره، لذا فإن المناطق السكنية وغيرها تختلط ببعضها البعض من دون فواصل بينها. أي أنه يمكن مشاهدة عمارة سكنية ضخمة بجانب بيوت سكنية بسيطة وحقيرة. أو يمكن مشاهدة فندق بالقرب من سوق لبيع السمك أو الخضار. كما أنه معروف أن الناس طبقات وأنهم مختلفون في درجات الثراء وامتلاك المال إلا أنه يمكن مشاهدتهم وعلى اختلاف طبقاتهم يعيشون في شارع أو زقاق واحد. ويعيش الأغنياء داخل بيوتهم منعزلين عن الآخرين ولكن خارج بيوتهم هناك أكواخ الفقراء التي تزاحم بعضها البعض.

وتمتاز المطاعم والبارات في مثل هذه الظروف بامتلاك كل واحد منها لبابين. أما أماكن بيع الملابس والدكاكين فهي متنوعة في المكان الواحد أو المنطقة الواحدة.

ثمانون ألف بار في طوكيو:

يوجد في طوكيو، اليوم، ثمانون ألف بار، وإذا ما أراد أحد الأجانب أن يزورها واحداً بعد آخر فإنه يحتاج إلى (٢١٩) سنة.

وتتشكل طوكيو من مجموعة من المناطق أو القرى والتي بدورها يسكنها الأغنياء والفقراء والتجار والمهرة والفنانون وأقل ما يقال عن هؤلاء أنهم يتحدثون مع بعضهم البعض ويسكنون جنباً إلى جنب. وهذه الحالة من ميزات طوكيو ومن الأمور الجاذبة فيها إذ يتمكن سكان مناطقها من التعارف وإقامة الصداقات فيما بينهم.

وتمتاز شوارع طوكيو الفرعية بأنها مظلمة وضيقة إلا أنها هادئة وساكنة إلى حد كبير مما يتيح لسكانها الحياة الهادئة والصافية. وفي عصر، تملأ الفوضى كل مكان فيه، تعتبر هذه الأزقة وهذه الشوارع المظلمة والهادئة نعمة ينبغي أن تشكر.

وطوكيو كما المدن الأخرى اليابانية، تحتاج إلى توسعة شوارعها وهذا ما يتطلب هدم بعض البيوت الواقعة عليها. بالطبع هذا ما لا يمكن فعله في اليابان إذ تعاني المدن اليابانية من الازدحام وضيق مساحة أراضيها.

وطوكيو كما المدن الأخرى اليابانية تعاني مشاكل كثيرة كالنقص في عدد المساكن أو ازدحام المرور وهي مشاكل مستعصية على

الحل. إلا أنه وبالمحافظة على الجوانب التاريخية يمكن البدء والشروع في أمور كثيرة لصالح مدينة طوكيو.

المدينة الأم التي اسمها طوكيو:

اليوم، أصبحت طوكيو مصدراً للاضطراب، ولكن سواء أردنا أم لم نرد، فإنها تتسع من كل جهة وصوب. وفقد ميناء يوكوهاما استقلاله أمام زحف طوكيو ولم تعد مدينة يوكوهاما تتمتع ببلدية مستقلة بل أصبحت تابعة لبلدية مدينة طوكيو. كما تشكل شريط ضيق طويل من المدن مطلاً على المحيط الهادي من طوكيو إلى أوساكا.

وسابقاً، كان الإنسان يقطع المسافة بين طوكيو وأوساكا ماراً على مناطق جرداء أو مناطق مليئة بالغابات. أما الآن فقد انتشرت القرى والمصانع والمساكن الرخيصة. لقد استبدلت المناظر الجميلة والجذابة بالمصانع ودخانها المتصاعد من مداخنها وبيوت العمال التي لا تتمتع بأي مظهر جمالي.

وترتبط مدينة طوكيو مع أوساكا بواسطة خط حديدي يسير عليه قطار سريع يقطع المسافة البالغة (٦٥٠) كيلومتراً خلال ثلاث ساعات فقط. كما سيربطها خط بري سريع ضخم مما سيجعل أوساكا ضاحية من ضواحي طوكيو وطوكيو ضاحية من ضواحي أوساكا. كما أن هناك خطاً برياً سريعاً دائرياً يربط ناجويا وأوساكا

وطوكيو ويمر على كثير من المدن والمناطق المأهولة مما يشكل منطقة سكنية عظيمة وهائلة. ويطلق عليها بعض المهتمين ببناء المدن لقب «الغول» لضخامتها وعظمتها.

ويوجد في العالم أمثلة مشابهة لما هو موجود في اليابان فهناك المنطقة الواقعة بين بوسطن وواشنطن والمنطقة الواقعة بين لوس أنجلوس وسان فرانسيسكو والمنطقة الواقعة بين مونتريال في كندا وشيكاغو في أمريكا أما في أوروبا فهناك المنطقة الممتدة على طول نهر الراين في ألمانيا الغربية. ولكن ما يميز اليابان عن بقية بلدان العالم هو أن الغول فيها محصور في أرض ضيقة جداً.

كثافة سكانية عظيمة في مساحة صغيرة:

من الواضح أن نصف عدد السكان وعددهم (١١٠) مليون نسمة يعيشون في ٢٥٪ من الأرض في اليابان وهذه تعتبر كثافة سكانية غير عادية. وطبقاً لإحصاء سنة ١٩٦٥ م فإن ما يقارب الخمسين مليون نسمة يعيشون في مساحة قدرها (٦٦٠٦) كيلومتراً مربعاً. الخبراء يتوقعون توسع الحزام الصناعي الممتد بين طوكيو وهيروشيما واجتذابه لما يقارب الخمسة والسبعين مليون نسمة أي ما نسبته ٦٥٪ من مجموع السكان في اليابان.

وفي مقابل التحول المدني في هذه الجزر الصغيرة والضيقة يحاول اليابانيون أن تكون الأشياء حديثة ويابانية. وبالرغم من

التعاون الحاصل بين الشرق والغرب إلا أنه لا يمكن الدمج بينهما بل أن تضادهما واضح وبين. والأدلة على ذلك كثيرة. فمثلاً، شيد برج في طوكيو على غرار برج إيفل في باريس وسط منطقة تضم معابد تاريخية وأثرية. أي أن البرج الحديدي لا يتناسق مع المعابد الخشبية التاريخية الأثرية. كما شيد مبنى عظيم وضخم وسط منطقة الحمامات المعدنية بدلاً عن الفنادق التقليدية الخشبية. بالطبع مثل هذين المثلين كثير مما يسبب في توتر الأعصاب وعدم هدوئها.

واليابانيون مقلدون جيدون وهذه واحدة من خصوصياتهم. بالطبع، اليابانيون في تقليدهم للآخرين لا يقومون بعمل تقليدي بسيط بل يقومون بتلقي الثقافات المختلفة وتحويرها إلى أشكال مناسبة لهم، أي محاولة إظهارها بمظهر جديد.

في السابق، كان اليابانيون يتعودون أي شيء يرد عليهم من الخارج، فمثلاً، استقبل اليابانيون الثقافة الصينية ما بين القرنين السابع والتاسع الميلاديين، ولكنهم احتاجوا لقرون طويلة حتى استطاعوا التوفيق بين ثقافتهم والثقافة الواردة، أي الصينية[1].

---

(١) يتمتع اليابانيون بخصلة حسن الاستماع وعدم رفض الأفكار من أول وهلة لذا فقد دخلت البوذية والكونفوشيوسية إلى الأراضي اليابانية من الصين وكوريا. إلا أن اليابانيين يتركون بصماتهم واضحة على تلك الأفكار بالرغم من احتفاظها بمسمياتها الأصلية. وحتى تلك الصناعات التي استقوا أفكارها من الغرب وأمريكا فإنهم أدخلوا عليها تعديلات يابانية بحيث يصعب إلا وصفها بأنها يابانية. (المترجم).

ارتقاء سلم الأعمال

من أخلاقيات العمل في اليابان أنه لا مجال للعمل الفردي وإنما على العكس من ذلك. فاليابانيون يؤدون الأعمال جماعياً وبكل انضباط. ولا محل لإبراز الابتكارات الشخصية بين اليابانيين بل إنهم يعتبرون ذلك بمنزلة العيوب الأخلاقية[١].

وبعد الحرب العالمية الثانية بسنوات، أدت الإصلاحات التعليمية التي فرضها الأمريكيون على اليابان إلى مناوشات بين التقليديين والإصلاحيين. وحتى في زماننا «المؤلف»، حدثت مناوشات بين طلاب الجامعات وكذا بين طلاب الثانويات مما أدى

---

(١) علماء النفس والاجتماع لا يختلفون حول أهمية التنافس بين الأفراد من أجل التقدم وزيادة الإنتاج. إلا أنهم يعتبرون العمل الجماعي أكثر جدوائية من التنافس لتحقيق نفس الأهداف. وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تؤكد على التعاون بين المؤمنين «تعاونوا على البرّ والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان»، «قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى». (المترجم).

إلى الفوضى وعدم الانضباط داخل تلك المؤسسات التعليمية. ولا زالت الأمور قائمة بين الطرفين ولكن مع رجحان كفة التقليديين.

بعض المراقبين يقولون أن ما يقارب من ثلث المفكرين والطلاب اليابانيين لديهم ميول يسارية ولكنهم في الواقع متوهمون إذ أن المفكرين والطلاب المعنيين ليسوا كذلك ولا يفكرون في ذلك الاتجاه. والسبب يعود إلى أن سلم الأعمال في النظام الرأسمالي يعود عليهم بالمنفعة. فهم ليس فقط لا يميلون إلى اليسار بل ويدعمون النظام الرأسمالي.

أجور قليلة ومزايا كثيرة:

نسبياً، تعتبر الأجور الأساسية لليابانيين منخفضة. فأجرة الموظف أو العامل تزيد قليلاً عن ستين ألف يناً يابانياً باستثناء أولئك العاملين في المجال الزراعي. إلا أن المستوى المعيشي في اليابان، خصوصاً في السنوات الأخيرة وصل إلى أمثاله في البلدان الأوروبية. حتى بات اليابانيون يلبسون ملابس لا يمكن لأي أمة في العالم أن تلبسها «من حيث مستواها النوعي».

حيل ماكرة من أجل المنافسة:

في الآونة الأخيرة سمعت بأن أحد الفتيان قال لزملائه في المدرسة بأن برنامجاً مثيراً سوف يبث عبر الراديو والتلفزيون في التاريخ الفلاني. بالطبع لم يكن هناك برنامج وإنما كان قصد هذا

الفتى أن يحقق تفوقاً على زملائه في الاختبار وقد كان له ذلك.

هذا مثال على الحيل التي يسلكها الناس من أجل التغلب على منافسيهم وخصوصاً الطلبة. إن الصداقة بين الطلبة يشوبها الكذب كما أنها صداقة غير خالصة وغير واقعية. ويقوم الطلبة بإفساد زملائهم من أجل أن يحققوا تفوقاً عليهم في الاختبارات. ثم إن الحرمان الذي لاقاه الطلبة في سن الشباب أوجد بينهم انحرافات جنسية بالإضافة إلى ما أوجده النظام التعليمي والاختبارات من مشاكل. فالنظام التعليمي الغير طبيعي زاد من الدراسة النظرية وقلل من الدراسة العملية. ومن بين الأمثلة على ذلك الفساد والمشاكل هو تعليم اللغات الأجنبية. ففي إمتحانات القبول مثلاً يمتحن الطلبة في اللغة الإنجليزية ليس في الجانب العملي منها وإنما في الجانب النظري، أي أن الإمتحان ليس في المحادثة وإنما في الكتابة والقواعد. والناتج هو أن الطالب بعد أن ينجح في إمتحان القبول لا يحاول أن يجهد نفسه من أجل أن يتقن تلك اللغة. أضف إلى ذلك أن اختبارات القبول في الجامعات أصعب من اختبارات الدروس الجامعية.

وفي عصر الفضاء، لا بد من إقران الدراسة النظرية بالدراسة العملية. إلا أن العجيب أن أصحاب الأعمال اليابانيين لا يفكرون بهذا الشكل فهم لا يشترطون في طالب العمل أن يكون كذلك بل لا يتوقعون منه ذلك. وبعد نهاية كل فصل دراسي وحصول بعض الطلبة على شهادات تخرجهم تقوم الشركات باستقبالهم وتوظيفهم. بالطبع لا يدخل الطالب المتخرج حديثاً الشركة لكي يعمل في وظيفة

معينة ومحدودة وإنما يدخل في دورة عملية لكي يؤدي بعدها عملاً معيناً وفي الغالب يعمل الخريجون في مجالات مختلفة عن تخصصاتهم. فمثلاً يمكن أن يعمل أحد خريجي قسم الحقوق في بنك من أجل أن يعد العملات الورقية. فقط أولئك الذين يريدون العمل في مراكز البحوث أو المختبرات يتوجب عليهم أن يكونوا حاصلين على شهادات فنية تؤهلهم للدخول والعمل في تلك المختبرات وتلك المراكز.

شروط القبول بالجامعات:

من أجل الدخول في إحدى الجامعات الممتازة في اليابان والتي يمكن للمتخرج منها الحصول على وظيفة بشكل سريع لا بد أن يكون الطالب قد درس في ثانوية ممتازة ومعتبرة. وفي اليابان توجد ثانويات كثيرة مشهورة والتي يمكن لخريجيها التقدم لاختبارات القبول الجامعية. لذا من المسلم به أن يرغب الآباء والأمهات في دخول أبنائهم مثل تلك الثانويات ذات الشهرة الحسنة.

وتقوم هذه الثانويات ذات الشهرة الحسنة باستخدام كثير من خريجيها للتدريس في المدارس الابتدائية من أجل اكتساب الخبرة والدراية.

إمتحانات جهنمية:

في اليابان، يتوجب على الطالب من سن الخامسة أو السادسة

حتى سن الثامنة عشرة أن يعد نفسه للاختبارات المتكررة والمتعددة. وفي اللغة اليابانية يعبر عنها بـ «شيكن جيكوكو ـ Shiken Jigoku» أي الاختبارات الجهنمية وفي الواقع هي كذلك.

وأنا شخصياً «المؤلف» أتذكر كم كنت أسهر الليالي من أجل الالتحاق بجامعة طوكيو الأمبراطورية كما أتذكر كم انتحر من الطلبة المرفوضين من شدة اليأس الذي أصابهم. وفي وقتنا الحاضر لا يعتبر الانتحار أمراً نادراً بل يحصل في كل الأوقات بين الطلاب. ولقد انتحر في «أوساكا» أحد الآباء بالغاز لأن ولده لم يتمكن من اجتياز اختبار القبول في إحدى المؤسسات التعليمية المعروفة. في نظر هذا الوالد، يعتبر عدم اجتياز ابنه لاختبار القبول طعناً في شرفه ولهذا أقدم على الانتحار.

أما في مدينة «ناجانو ـ Nagano» فقد أقدم أحد الطلبة والبالغ من العمر خمسة عشر عاماً على الانتحار وذلك عبر القفز من سطح أحد محلات البيع الكبرى كوسيلة للتخلص من الاختبارات الجهنمية.

وكثير من الطلبة يعانون من مشاكل صحية من جراء الضغوط الدراسية والاختبارات. كذلك يعانون من قصر النظر والإصابة بالسل من جراء التسابق في مجال الاختبارات الصعبة. بل إن التسابق لم يؤدِ إلى أمراض بدنية فقط وإنما أدى كذلك إلى حدوث أمراض روحية وأخلاقية.

ويلعب استخدام الوقت دوراً كبيراً في الاختبارات لذا فإن الطالب يسهر الليالي من أجل تجميع وتذكر المعلومات المختلفة. بل يصل الحد إلى أن الطالب لا يهتم بوجبات الطعام كما يقوم بالمطالعة وهو ذاهب إلى المدرسة وفي أكثر الأماكن ازدحاماً من غير أن يهتم بما حوله(١).

العمال العاديون في الطبقة العليا:

يعمل الموظفون ذوي الرتب العالية وأصحاب الصناعات في اليابان كترس في آلة أو ماكينة ضخمة يدورون كلما دارت. وفي اللهجة العامية اليابانية يعبر عنهم بـ «عمال عاديون في طبقة عليا». ويمكن لأولئك الموظفين ذوي الرتب العالية والذين يمتلكون أسهماً كثيرة أن يمتلكوا الشركات وأن يصبحوا في عداد المليونيرات.

ومن المسلمات أن لا يتمكن الموظفون العاديون من التمتع بالمزايا التي يتمتع بها الموظفون من ذوي الرتب العالية، إلا أن هناك طرقاً عديدة يمكن من خلالها الوصول إلى بعض المزايا التي تخص الموظفين ذوي الرتب العالية. مثلاً عندما يحضر أحد

---

(١) للمزيد من المعلومات حول أخلاقيات التعليم في اليابان يمكن مراجعة كتاب «Essays on Japan from Japan» الصادر عن «Nippon Steel Corporation» وكتاب «Made in Japan» لمؤلفه «Akio Morita». (المترجم).

الضيوف الأجانب للشركة فإنه تشكل مجموعات صغيرة من الموظفين من أجل الاحتفاء بالضيف وحضور وجبة الطعام التي تقام على شرفه. كما يمكن للموظفين العاديين أن يحضروا مأدبة العشاء التي تقيمها المؤسسة لموظفي وزارة التجارة وذلك بعد حصول تلك المؤسسة على عقد مع طرف خارجي وتقوم الشركة بدفع تكاليف تلك المأدبة.

وبخلاف الإحصاءات فإن أجرة الموظف الياباني تسمح له بأن يعيش برفاه وراحة. كما يحق له قضاء عطلته في التزلج على الجليد وامتلاك جهاز تلفزيون وسيارة. أما العمال أو الموظفين الذين يعملون في التجارة أو المصانع اليابانية فإن أجورهم متدنية ولا يمكنهم التمتع بمزايا كثيرة على حساب مؤسساتهم. كما أن أجورهم متأثرة بما يحدث في السوق.

وفي اليابان كلها، تعمل كثير من الفتيات الشابات في مصانع النسيج أو في المحلات الكبرى أو في المكاتب من أجل توزيع فناجين الشاي بين الغرف. وهؤلاء الفتيات الشابات، وعلى عكس العاملين في المصاعد من الرجال، يبعن خدماتهم مقابل مبالغ صغيرة جداً وقد يكون على شكل مبلغ كاف لتجهيز عروس لأنهن يتركن العمل إن عاجلاً أو آجلاً للزواج. كما لا يرتقين في سلسلة المراتب ولا يحصلن على مزايا جديدة أبداً ولا تزيد أجورهن بل تبقى في مستوياتها المتدنية.

الخامسة والخمسون . . سن التقاعد:

سن التقاعد الياباني والقانوني هو الخامسة والخمسون ولكن يستثنى منه ذوي الرتب العالية أو ذوي الوظائف الراقية والذين يمكنهم أن يستمروا في وظائفهم لاثني عشرة سنة إضافية.

لقد قامت كثير من الوزارات والدوائر الحكومية بإنشاء مجموعة من المؤسسات التابعة لها وسمحت بتوظيف من يرغب ممن وصل إلى سن التقاعد. فمثلاً، قامت وزارة التجارة بإنشاء مؤسسة تحت اسم «وكالة توسيع التجارة الخارجية» وقدمت أجوراً كبيرة لمن يلتحق بها من المتقاعدين خصوصاً أولئك الذين كانوا يتمتعون برتب عالية.

كما تقوم بعض المؤسسات التجارية الكبيرة بإنشاء مؤسسات تابعة لها والاستفادة من خدمات متقاعديها من ذوي الرتب العالية في تلك المؤسسات التابعة كمستشارين وتدفع لهم رواتب عالية. كما أن الخدمة في هذه المؤسسات التابعة ليست إجبارية ولا دائمة.

وتقوم مجموعات من الموظفين الحكوميين من ذوي الرتب العالية بالتقاعد في سن الخامسة والأربعين ثم الالتحاق بمثل تلك المؤسسات التابعة بعد موافقة المؤسسات أو الوزارات الحكومية التي كانوا تابعين لها قبل التقاعد. ويضطر مثل هؤلاء الموظفين إلى العمل طيلة حياتهم من أجل العيش إذ أنهم يفقدون حقوق التقاعد باعتبارهم تركوا أعمالهم في المؤسسات الأصلية في غير سن

تقاعدهم القانونية.

بالطبع، توجد انتقادات لمثل هذا النظام الوظيفي ولكن في بلد مثل اليابان وبهذا العدد الهائل من البشر يمكن القبول به. كما أن أصحاب الأعمال يولون أولئك الذين يضطرون للعمل مدى الحياة عناية خاصة إذ يبنون معهم علاقات صداقة حميمة وعلاقات في مستوى العلاقات العائلية وهذه من مكاسب نظام العمل الياباني.

ويتردد اليابانيون على محلات البيع في المدن الكبرى لشراء حاجياتهم على الرغم من أن أسعار تلك الحاجيات ليست أرخص من مثيلاتها في الدول الأوروبية، ومن هنا يظهر الفرق في امتلاك المواد الاستهلاكية الراقية بين اليابان والدول الأوروبية والسبب يعود إلى أن أجور اليابانيين هي أقل من مثيلاتها بالنسبة للأوروبيين. لكن اليابانيين يحصلون على مساعدات وجوائز مختلفة القيمة من أجل الصرف على حاجياتهم المختلفة.

كما يحصل اليابانيون على مساعدات عائلية تكون في بعض الأحيان أكثر من الأجور الأصلية. وتعطى لليابانيين مكافأتان في كل سنة، واحدة في بداية السنة الجديدة وأخرى في منتصف الصيف. وتدفع الشركات بدل السكن وأجرة المواصلات لموظفيها. كما أن الشركات الكبرى تؤمن وجبة الغداء والسكن بالمجان وتدفع للمتزوجين أجرة السكن. وتقوم مثل هذه الشركات بتوفير وسائل الترفيه والرياضة المجانية.

وفي زماننا، كان قص الشعر يكلف كثيراً مما دعا كثيراً من الشركات الكبرى إلى توفير الحلاقين وبأسعار منخفضة جداً.

كما يسافر الموظفون الحكوميون مثلهم مثل بقية موظفي الشركات من أجل إنجاز بعض أعمال دوائرهم أو من أجل أمور خاصة. ويقوم أصحاب الأعمال بالصرف على موظفيهم في أثناء سفرهم. بالطبع تعتبر مثل تلك الأسفار كجائزة للموظفين مما يترك في أنفسهم آثاراً طيبة[١].

تفضيل الرجال على النساء:

قلما ترافق النساء اليابانيات أزواجهن في أسفارهم التي تستغرق منهم في بعض الأوقات شهوراً. وأكثر النساء يبقين في البيوت منتظرات لأنه ـ في اليابان ـ لا زالت حتى وقتنا الحاضر، السلطة للرجل على المرأة. وحتى عندما ينظم أصحاب الشركات رحلات ترفيهية لموظفيهم فإنهم لا يصطحبون زوجاتهم معهم.

وانتشر نمط الحياة على حساب الشركة أو المؤسسة المستخدمة بعد الحرب العالمية الثانية ليس فقط في اليابان وإنما في أوروبا. ولكنها ومن شدة ما انتشرت في اليابان أصبحت عادة دائمة بالنسبة لليابانيين.

---

(١) للمزيد راجع المصدرين السابقين. (المترجم).

وتخصص المؤسسات الحكومية وكذا الشركات مبالغ كبيرة من أجل الضيافة والراحة. وتوجد مطاعم صغيرة غير محصورة العدد في شوارع المدن اليابانية والتي تعتمد أساساً على المساعدات التي تدفع للموظفين والعمال من قبل شركاتهم ومؤسساتهم. وفي أي وقت، يقوم العامل أو الموظف بالصرف على أمور الضيافة من مصدر آخر غير مصدر المساعدات، فإن ذلك مؤشر على فقره ومسكنته.

كل شيء على حساب المؤسسة:

في عصرنا أو زماننا، كانت الشركات الكبرى تخصص مبالغ كبيرة معفية من الضرائب من أجل الترفيه أو من أجل أهداف أخرى. وتعود على الشركة فائدة من جراء ذلك وهي عدم دفع الضرائب الكبيرة.

وبالنسبة للموظفين ذوي الرتب العالية، يكون لمثل تلك المخصصات معنى خاصاً إذ يتمتع أولئك بالسكن المريح والمجهز وتنتقل ملكية ذلك السكن أوتوماتيكياً لهم بعد التقاعد. كما تخصص الشركات الكبرى لمثل هؤلاء الموظفين ذوي الرتب العالية سيارات مرسيدس والتي يقودها سواق خاصون. بالإضافة إلى أشياء كثيرة مثل التمتع بالعضوية الكاملة في ملعب للجولف «Golf» والدخول إلى بيوت الشاي التقليدية اليابانية أو البارات الراقية والتي تدفع تكاليفها الشركات التي يتبعون لها.

وكثير من أصحاب الصناعات اليابانية لا يمكن قياسهم بأمثالهم

من الأمريكيين والأوروبيين من حيث امتلاك الثروة الخاصة ولكنهم وبعد مدة لا تتجاوز الخمس عشرة سنة من العمل يمكنهم الحصول على أي مبلغ من أجل الترفيه والراحة من قبل الشركات أو المؤسسات التابعين لها.

بالإضافة إلى ذلك، في زماننا أو وقتنا، لم يكن الحصول على الثروة الخاصة أمراً سهلاً بالنسبة لأصحاب الصناعات من جراء الضرائب الكبيرة والتضخم المالي الذي كان سائداً في البلاد.

كفاح من المهد الى اللحد
من أجل العيش

الترقيات مؤمنة ومضمونة:

في كثير من المحلات التجارية الكبرى والتي توجد بكثرة في اليابان، نجد الرجال والنساء بأعداد كبيرة ومن كل الأعمار يصعدون طبقاتها مستخدمين في ذلك المصاعد الكهربائية. وهذا الصعود لطبقات المحلات التجارية هو تعبير ملخص للوضع الحياتي الذي يعيشه اليابانيون.

ومن الممكن أن يكون مجيء الياباني للدنيا هو من أجل التفوق إلا أن هناك حقيقة وهي أنه على الياباني، رجلاً أو امرأة، أن يعمل بكل طاقته من أجل تأمين متطلباته الحياتية من المهد إلى اللحد. ففي بلد ضيق يعيش فيه (١١٠) مليون نسمة وذي فرص محدودة، يكون ولا شك كل ما يتمناه الشاب الياباني هو أن يحصل على وظيفة في إحدى الإدارات الحكومية أو في إحدى الشركات الخاصة بعد التخرج:

ومن أجل أن يحصل الإنسان على وظيفة عادية في إحدى المؤسسات الكبرى، يتوجب عليه أن يجتاز اختباراً تحريرياً ليظهر مدى استعداده لتحمل مسؤوليات تلك الوظيفة. أما الحصول على وظيفة حكومية فلا بد أن يظهر المتقدم للوظيفة استعداداً خاصاً لتحملها وفي أغلب الأحيان يحصل واحد من كل عشرين شخصاً على قبول في مثل تلك الوظائف. ومن هنا يبقى الشخص الذي يحصل على الوظيفة، سواء كانت في شركة أو حكومية. متمسكاً بها طيلة حياته.

وتعمل الوزارة أو المؤسسة كل ما في وسعها للاحتفاظ بالموظف فتزيد في مرتبه اعتماداً على العمر وفي رتبته اعتماداً على جديته ولياقته العملية.

الترقية مربوطة بمرور الوقت:

إن ترقية أي موظف، سواء في مؤسسة خاصة أو حكومية، مرتبطة بعدد السنين التي قضاها في وظيفة معينة في تلك المؤسسة. لهذا فإن ترقية أي شاب بين الكبار يعتبر أمراً استثنائياً حتى ولو كان هذا الشاب يتصف بالقدرات المختلفة أو حتى لو كان جديراً بذلك.

والمراتب العليا والوظائف الكبرى منحصرة في أولئك أو لأولئك الذين لديهم القدرات الاستثنائية أو أولئك الذين يتمتعون بالقبول من جانب عامة الموظفين. ومثل هؤلاء الموظفين ينتخبون في العادة للجهاز الإداري. بالطبع، يحبّذ أصحاب المؤسسات أو

مسؤولوها، سواء الحكومية أو الخاصة، خريجي الجامعات.

وسن التقاعد في المؤسسات الحكومية وغير الحكومية هي الخامسة والخمسون. والغريب أنه لا يوجد أي شخص قد ترك عمله قبل سن التقاعد من أجل أن يلتحق بشركة منافسة لشركته السابقة أو حتى مجرد أي شركة. من هنا، فالعامل أو الموظف عندما يلتحق بأي مؤسسة أو شركة فإنه يعتبر نفسه قد أمّن وضمن مستقبله الحياتي إلا إذا صدر عنه خطأ أو ارتكب تقصيراً يوجب إخراجه من عمله أو وظيفته.

نظام التعليم في اليابان:

إلى هذا الحد يتوجب عليّ أن أقول شيئاً حول النظام التعليمي في اليابان. فبعد الحرب العالمية الثانية بفترة قصيرة، أدخلت إصلاحات جديدة في النظام التعليمي القديم مما أحدث تحولاً في أساسه.

ففي الماضي، ارتكز النظام التعليمي في اليابان على دعامتين هما التعليم الابتدائي والتعليم العالي. والتعليم العالي كان محصوراً في خمس جامعات حكومية ومجموعة أخرى من الجامعات الوطنية. أما التعليم الابتدائي فقد كان إجبارياً ولمدة ست سنوات فقط. بالطبع أكثر الطلاب لا يكتفون بالدراسة الابتدائية وإنما يلتحقون بالثانويات التجارية أو الفنية.

أما النظام التعليمي الجديد فيستمد خطوطه العريضة من النظام

التعليمي الأمريكي حيث كانت اليابان تحت السيطرة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية. ويمتاز النظام التعليمي الجديد بالديمقراطية وتساوي الفرص بالنسبة للدراسات العليا. ونتيجة لذلك فإن كثيراً من المدارس العليا والثانويات في اليابان تحولت إلى مستوى الجامعات حتى وصل عددها الآن إلى أكثر من خمسمائة مؤسسة.

وقد أدى التضخم في عدد الجامعات وعدد الخريجين إلى انخفاض قيمة الشهادات. كما أنه ليس غريباً أن يعمل الخريجون كمراسلين أو كماسحي أحذية في الشوارع والأزقة اليابانية.

إلا أن الشباب الياباني الذين ينظرون إلى المسائل بمنظار المحتلين الأمريكيين لا يمكنهم أن يقيموا هذا الوضع اللامعقول واللامنطقي. إنهم ينظرون إلى أن الوضع التعليمي الديمقراطي كسر حالة التوحد بالساحة التي كانت للجامعة الأمبراطورية بطوكيو وذلك بافتتاح جامعات أخرى كثيرة.

الجامعة الأمبراطورية بطوكيو:

لقد أعطت الجامعة الأمبراطورية بطوكيو للمجتمع الكثير من الخريجين في المجالات المختلفة كالإدارة، الحقوق، القضاء وحتى التجارة والصناعة. كما أن خريجيها هم الأكثر حظاً في مجال الحصول على الوظائف. إلا أن قيمة الشهادات التي يحصل عليها الخريجون من هذه الجامعة انخفضت ـ زمن الاحتلال الأمريكي لليابان ـ في نظر بعض أعضاء كادر القسم التعليمي التابع لقيادة

أركان الجيش الأمريكي. ولا أنسى أنه كان في هذا القسم ضابط ممن درس في المدرسة العليا في نيبراسكا وقد كان ينظر إلى خريجي الجامعة الأمبراطورية باحتقار حتى وصل به الحال إلى أن يسأل كل من يريد الاجتماع به أو يلتقيه من اليابانيين عن شهادته ومن أين حصل عليها. فإذا كان قد حصل عليها من الجامعة الأمبراطورية فإنه لا يلتقيه ولا يجتمع به بل ويقول بصراحة «ليس لي معه أي عمل».

ولقد رفعت الإصلاحات التعليمية التي أدخلها المحتلون الأمريكيون من مستوى التعليم العام في اليابان إلا أنها في المجموع كانت مصدر خسارة، من قبيل الخسارة التي حصلت من جراء تحطيم قدرة الجامعة الأمبراطورية في طوكيو. وقد حصلت هذه الجامعة على أهمية عظيمة في زماننا أكبر مما كانت لها أيام ما قبل الحرب العالمية الثانية. إذ أن افتتاح مئات الجامعات بعد الحرب العالمية الثانية أدى إلى ضحالة المعلومات على المستوى الجامعي ومن ثم أظهر قيمة الجامعة الأمبراطورية. وفي كل عام يتقدم الآلاف من اليابانيين لاجتياز اختبار القبول إلا أن الذين يوفقون لاجتيازه لا يتجاوزون الخمسة في المائة وهم الذين يلتحقون بعد ذلك بالجامعة.

إن الالتحاق بالمؤسسات العلمية الخاصة والراقية في اليابان مثل الجامعات الحكومية يعتبر أمراً صعباً. لذا تلجأ بعض العائلات الغنية اليابانية إلى تقديم الهدايا إلى المسؤولين في الجامعات الخاصة، من الدرجة الثانية أو الثالثة، من أجل أن يساهموا في قبول

أبنائهم. بالطبع لا يمكن القيام بمثل هذه الأعمال مع مسؤولي المؤسسات المعتبرة ولهذا يتوجب على كل من يريد الالتحاق بواحدة منها أن يبذل جهداً مضاعفاً لاجتياز اختبار القبول. وتعطي جامعة طوكيو الأمبراطورية الفرصة للطالب في أن يتقدم لاختبار القبول مرات عديدة. ولهذا السبب نجد آلاف الطلبة اليابانيين والذين لم يوفقوا لاجتياز اختبار القبول للمرة الأولى يقضون أيام وليالي سنة كاملة للتحضير للاختبار مرة أخرى علّهم يوفقون للالتحاق بالجامعة.

وتختار المؤسسات المهمة في الغالب موظفيها الجدد من خريجي جامعة طوكيو وجامعة كيو أو من أي جامعة معتبرة أخرى. وشيئاً فشيئاً، صار من المنطقي بالنسبة لأي شخص يطمح في الوصول إلى موقع ذي مزايا كثيرة أن يحصل على شهادة التخرج من الجامعة الأمبراطورية أو أي جامعة معتبرة أخرى.

التصدير أو الموت

عدد سكان كبير ووطن صغير:

إذا أردنا أن نبحث في المسائل الإقتصادية والسياسية والاجتماعية والعلاقات الخارجية لليابان فإننا نجد لها جذوراً مشتركة وهي «عدد هائل من السكان في وطن صغير وضيق».

وتشكل الأراضي الغير صالحة للزراعة ٧٠٪ من مجموع الأرض اليابانية في حين لا تزيد المساحة الكلية للأرض اليابانية عن مساحة ولاية كاليفورنيا. أما سكان اليابان فقد كانوا في سنة ١٩٣٨ م (٧١) مليون نسمة. وبعد عشرة أعوام وصل عددهم إلى (٨٠) مليون نسمة بينما بلغوا في السنوات الأخيرة الـ (١١٠) مليون نسمة. وحتى تتوضح المشكلة أكثر نذكر بأن الأرض اليابانية أكبر من الأرض البريطانية ولكن الكثافة السكانية في الهكتار الواحد في اليابان تزيد على مثيلتها في هولندا وبلجيكا. كما أن الأرض اليابانية عبارة عن شريط ضيق من جزر جبلية لا يزيد عرضها عن (٢٧٠) كم.

وتزدحم المدن الساحلية بالسكان. أما المناطق المستوية فتقع

خارج الشريط الساحلي. ويوجد أكثر من اثنى عشر سهلاً والتي لا يزيد عرض الواحد منها عن ستين كيلومتراً وغالباً ما تكون مزروعة بالأرز. ويمكن القول أن واحداً من كل سبعة هكتارات هو أرض صالحة للزراعة، إلا أن الكثافة السكانية في الأرض الزراعية اليابانية تعادل ثمانية أضعاف مثيلتها في فرنسا. ولكي تتوضح المشكلة اليابانية علينا أن نتصور ما ستكون عليه الحالة في سويسرا عندما يصبح عدد سكانها (٢٥) ضعفاً مما هو عليه الآن (عدد سكان سويسرا الآن هو (٠٠٠ ٥٧٠٠) نسمة).

كل شيء صغير:

على مر الأزمان والأوقات، كان للنقص في الأماكن الأثر الكبير على حياة اليابانيين إذ ملأها بالمشاكل والمصاعب. كما أن صغر المكان أدى إلى أن يكون كل شيء في اليابان صغيراً. فالبيوت والشوارع ووسائل النقل أصغر من مثيلاتها في أي بلد أوروبي.

في عام ١٩٦٥ م، أقيم معرض تجاري كبير لبريطانيا في طوكيو وعرض من خلاله كل ما هو خاص بالحياة في بريطانيا. من بين المعروضات كانت وسائل النقل. أحد سائقي الحافلات البريطانيين وجد صعوبات جمة عندما أراد أن يوصل حافلته المحملة بالركاب إلى مكان المعرض. كلما كان يريد العبور من تحت الجسور كان يلاقي مصاعب لانخفاض تلك الجسور مقارنة بما هو موجود في بريطانيا مثلاً.

في سنة (١٩٥١ م) عندما هزمت القوات الأمريكية في شبه القارة الكورية وأجبرت على الخروج من هناك، أمر الجنرال «ماك آرثر» الحاكم العسكري الأمريكي في اليابان تلك القوات بالتوجه إلى الأراضي اليابانية بأسلحتها. وقد عانت تلك القوات مشاكل كثيرة من ضيق المعابر والشوارع بالإضافة إلى تخريب مزارع الأرز وبعض الجسور التي لم تستطع تحمل أثقال تلك الأسلحة وتلك الآليات.

أثر النقص في الأرض على أخلاقيات الشعب الياباني:

كانت الأراضي تقاس في القرون السابقة بوحدة خاصة يطلق عليها «تسوبو» وهي تعادل ٣,٣ م مربعاً أما في الوقت الحاضر فلا تستخدم هذه الوحدة.

وتنقسم وحدة «تسوبو» إلى وحدة أصغر وهي «قو» وتعادل عشر «تسوبو» كما أن «قو» ينقسم إلى وحدات أصغر يطلق عليها «شاكو» وتعادل عشر «قو» وتستخدم إدارة الأراضي اليابانية هذه الوحدات الصغيرة.

والاختلاف على امتلاك أجزاء بسيطة من الأرض هو مصدر من مصادر المشاكل بين الجيران. فمثلاً، أحدهم نازع جاراً له على نصف «تسوبو» أي على ١,٦ متراً مربعاً. ووصلت القضية إلى المحكمة على اعتبار أن الجار قد غصب أرضه. ولا شك أن مثل هذه الدعاوي هي مصدر لإضاعة المال والوقت، ولا غرابة إذا ما علمنا أن المحاكم اليابانية تعج بمثل تلك القضايا والدعاوي.

ونستطيع القول أن النقص في الأرض والأماكن لعب دوراً مؤثراً في تربية الخصوصيات اليابانية كما أدى إلى قصر نظر عند اليابانيين بالإضافة إلى كونه مصدراً للاضطرابات الصحية نتيجة لتلوث البيئة.

المعجزة الإقتصادية اليابانية:

في الغالب، يغيب عن أذهان الناس بأن اليابان تفتقر إلى المواد الخام ولذا فإنهم يقارنونها بألمانيا الغربية في نهضتها الصناعية. فواحدة في الشرق «اليابان» والأخرى في الغرب «ألمانيا الغربية»، وقد استطاعتا التغلب على الدمار والخراب اللذين جلبتهما الحرب العالمية الثانية بأن خصصتا مواردهما المالية للبناء بدلاً عن شراء السلاح. ولا شك أن هناك بعض التشابه فألمانيا الغربية بعد الحرب ومن أجل تأمين القوة البشرية للعمل استفادت من المهاجرين الشرقيين بينما استفادت اليابان من جنودها العائدين من مواقع المعارك لتأمين القوة البشرية للعمل. أما في المجال المعدني فألمانيا تمتلك خامات الحديد والفحم الحجري بينما تفتقر اليابان إلى ذلك وتعتبر اليابان من بين الدول الأفقر في العالم من حيث امتلاك المعادن. وبفضل وجود الأنهار بالقرب من المدن فإن جزءاً من كهرباء اليابان يولد عن طريق الاستفادة من طاقة الأنهار المائية. ونتيجة لعمليات التنقيب المتعددة فقد تم اكتشاف مناجم للفحم الحجري في شمال وشرق الأراضي اليابانية والتي سوف تنتهي كميات الفحم فيها في مدة لا تتجاوز الخمسين عاماً.

أما معادن جزيرة «كيوشو» في جنوب شرق اليابان ونتيجة لضيق الأرض فإن استخراجها يكلف كثيراً مما يجعلها بالتالي غير إقتصادية بعد استخراجها. وتستورد اليابان ٨٠٪ من احتياجاتها من الفحم الحجري كما أنها تستورد القطن والصوف اللازمين للصناعات النسيجية الضخمة.

وعملاً، تفتقر اليابان للنفط أما نتيجة للتنقيب الطويل فقد وجدت كميات قليلة من خام الحديد.

ومن أجل الحصول على المطاط والنحاس والبوكسيت ومواد أولية أخرى فإن اليابان يتوجب عليها أن تسير أسطولاً من السفن يمخر المحيطات بحثاً عن تلك المواد في مواطنها.

وإذا ما أراد اليابانيون أن تستمر حياتهم فما عليهم إلا أن يستمروا في الإتكاء على التصنيع والصناعة. أما الاحتياجات الغذائية والحياتية فلا يمكن تأمينها إلا إذا حلت اليابان مشاكلها الإنتاجية والتجارية المعقدة.

ولكن وعلى الرغم من كل تلك المشاكل إلا أن اليابان حققت معجزة عظيمة جعلتها تتفوق على ألمانيا الغربية.

مفتاح الإنجازات اليابانية:

إن مفتاح الإنجازات اليابانية والشرط الأساسي لدوام الحياة الإقتصادية في اليابان مربوطان باستيراد المواد الأولية وتحويلها إلى

صناعات ممتازة ورخيصة ومن ثم إعادة تصديرها للخارج.

وترجع المسائل التي تعترض الصادرات اليابانية في جذورها إلى قوانين التجارة العالمية. وتستورد اليابان ٨٠٪ من المواد الأولية و ٢٠٪ من المواد الغذائية من الخارج وتسدد قيمتها من ثمن الصادرات المصنعة. وليس عجيباً أن تزداد الرابطة قوة بين الواردات والصادرات اليابانية مع مر الزمن. بالطبع، مستوى المعيشة أخذ في الارتفاع مما يؤدي إلى استيراد المواد بنسب أكبر وحتى تتمكن اليابان من البقاء لا بد أن تزداد نسبة صادراتها للخارج.

ولقد تطورت الصناعات اليابانية بشكل ملفت للنظر نتيجة لتطبيق تقنيات جديدة ابتدعها اليابانيون أنفسهم. أما في مجال المواد الأولية وتأمينها فيعمل اليابانيون جهدهم على مساعدة الدول المختلفة على اكتشافها. إنهم يساعدون السوفييت والأندونيسيين ودول أخرى في المحيط الهادي كما أنهم يساعدون دول أمريكا الجنوبية على اكتشاف المواد الأولية. وفي أستراليا عقدت الشركات اليابانية إتفاقيات طويلة الأمد من أجل تأمين موارد الفحم الحجري لليابان وتعمل بعض الشركات اليابانية على المشاركة مع شركات في بلدانها على استخراج المعادن.

وسائل النقل تستهلك الأرباح:

لقد قام أصحاب الصناعات اليابانية بتشييد مصانعهم خصوصاً معامل التكرير ومعامل الصلب والحديد في المدن الساحلية وبالتالي

فهم لا يتحملون أجور النقل الداخلي، أي من الموانىء إلى المعامل. إن عملية التحويل من السفن الناقلة للمواد الأولية إلى المعامل هي عملية مباشرة وينتج عن ذلك انخفاض كلفة التصنيع.

وتنافس كثير من الصناعات اليابانية صناعات الدول الأخرى إن من حيث الأسعار أو من حيث النوعية. فمثلاً صناعة النسيج اليابانية لا تنافسها إلا الصناعة النسيجية الأمريكية. أما الكاميرات والصناعات البصرية فتعتبر من الصادرات اليابانية المهمة. وقبل الحرب العالمية الثانية، كانت الصناعة النسيجية وأدوات اللعب من الصادرات اليابانية الرئيسية. أما في الوقت الحاضر فتنافس اليابان الدول الأخرى في كثير من المجالات الصناعية، مما يجعلها قادرة على لعب دور مهم في السوق التجاري العالمي.

وفي الوقت الحاضر اختفت الصناعات والمنتوجات المزورة من السوق العالمية وما تبقى منها هو عبارة عن إرث ما قبل الحرب العالمية الثانية.

ووصل التنافس الياباني حداً عظيماً يثير الإعجاب، كما أن أصحاب الصناعات اليابانية أوجدوا أقساماً للصيانة لكثير من صناعاتهم حتى أصبحت أقسام الصيانة واضحة للعيان في محلات بيع المنتجات اليابانية. فهناك أقسام صيانة في محلات بيع الكاميرات والصناعات البصرية وفي محلات بيع ماكينات الخياطة ومعارض بيع السيارات.

ابتكارات اليابان في العالم:

لقد قام أصحاب الصناعات اليابانية ببناء معامل ومصانع في دول كثيرة سواء بأموال يابانية بحتة أو بالمشاركة مع أصحاب رؤوس الأموال في تلك الدول. والأمثلة على ذلك كثيرة، مصانع شركة هوندا في بلجيكا، بولب ألاسكا في الولايات المتحدة ومصانع لشركات في الهند.

من بين الشركات الشهيرة في اليابان والتي تبذل كثيراً في مجال الإبداع والابتكار، شركة سوني التي رفعت اسم اليابان عالياً في العالم ومسحت السمعة السيئة لليابان باعتبارها دولة مزورة ومقلدة للصناعات قبل الحرب العالمية الثانية. حتى باتت سوني شركة لا تنافس في صناعة الترانزستور وأصبحت تكسب الدعاوي أمام المحاكم ضد من ينتحل اسمها.

ولأن الدعاية المضادة ضد الصناعات اليابانية كانت كبيرة وواسعة في الدول الغربية وأمريكا فإن شركة سوني لم تعمد إلى الإصرار على انتسابها إلى اليابان حتى أن كثيراً من الأمريكيين لم يكونوا يعلمون أن شركة سوني هي في الواقع شركة يابانية. لذا ليس غريباً أن ينفي أصحاب محلات بيع الراديو امتلاكهم لأجهزة راديو من صنع ياباني. لكنهم عندما سئلوا عن امتلاكهم لأجهزة راديو من صنع شركة سوني أجابوا بالإثبات[1].

---

(١) للمزيد من المعلومات حول نشأة شركة «سوني» والمراحل التي مرت بها

منافسة اليابان للأمريكيين والروس في مجال صناعة الصلب:

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية كان من الصعب بمكان إنتاج نصف مليون طن من الصلب في العام أما في الوقت الحاضر أي عام ١٩٧٣ م فإن الإنتاج الياباني من الصلب تجاوز (١٢٠) مليون طناً في العام. وأصبحت اليابان توازي في إنتاجها للصلب الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا وتجاوزت ألمانيا الغربية.

من بين الـ (١٢٠) مليون طناً من الحديد المنتج، قامت اليابان بتصدير (٣٠) مليون طن للخارج والباقي استخدم أو استهلك في الداخل، ولم يكن اليابانيون يتوقعون أن يقوموا بتصدير مثل هذا المقدار من الصلب. البعض لم يرضهم هذا الاستهلاك في الصلب المنتج مما دفع بكميات أكبر إلى السوق العالمية أدى بأسعار الصلب إلى أن تنخفض.

ومع مر الأيام تقدمت صناعة الصلب اليابانية مما ساعد على إنتاج كمية أكبر من الصلب لكل طن من خام الحديد[١].

حتى وصلت إلى مكانتها المعروفة هذه الأيام، راجع كتاب «Made in Japan» لمؤلفه «Akio Morita».

(١) أصيبت صناعة الحديد والصلب اليابانية بهزائم كبيرة خصوصاً بعد ارتفاع قيمة الين مقابل قيمة الدولار. فقد دعت هذه الزيادة، بالإضافة إلى بعض

صناعة السفن في اليابان:

في السنوات الأخيرة، أصبحت صادرات السفن من بين أهم الصادرات اليابانية.

في عام ١٩٤٥ م صدق الجنرال «ماك آرثر» الحاكم العسكري الأمريكي في اليابان على قانون يمنع بموجبه بناء سفن للصيد تزيد حمولتها الإجمالية في العام على (١٥٠) ألف طن. ولكن اليابانيين

القيود التي فرضتها بعض الدول الأوروبية وأمريكا على استيراد البضائع اليابانية خصوصاً تلك التي تعتمد على الحديد والصلب، بعض الشركات اليابانية الكبرى إلى إقامة مصانع لها في بلدان مختلفة وبالذات في أمريكا.
بعض المراقبين توقعوا إفلاس بعض شركات الصلب في اليابان إلا أنها لجأت وبشكل سريع إلى تنويع نشاطاتها.
والشركات الخمس الكبرى في اليابان المهتمة بصناعة الحديد والصلب هي:

1 - Nippon Steel Corporation

2 - Nippon Kokan.

3 - Kobe Steel.

4 - Sumitomo Metal Industries LTD.

5 - Kawasaki Steel.

ولم يتجاوز معدل إنتاج الصلب والحديد في اليابان خلال عام ١٩٨٦ م الـ (٩٥) مليون طن بينما كان في السنوات السابقة في حدود الـ (١٢٠) مليون طن. (المترجم).

وبعد مرور (٢٠) سنة أنزلوا إلى البحر أكبر ناقلة نفط في العالم أطلق عليها اسم «طوكيو مارو». ومنذ عام ١٩٦٥ م حتى الآن تعتبر اليابان أكبر مصنع للسفن في العالم ولها عقود بناء سفن مع دول مختلفة.

إن الإنجاز الياباني في حقل بناء السفن يعود إلى السرعة والنوعية.

واليابانيون يستفيدون في هذه الصناعة من أحدث الوسائل المتوفرة كأجهزة اللحام الأوتوماتيكية والتي تعتبر أجهزة متقدمة على مثيلاتها في العالم. وقد وصل الحد إلى أن يحدد اليابانيون الوقت بدقة كافية لتسليم السفن إلى زبائنهم، ليس فقط اليوم بل وحتى الساعة لأنهم يستخدمون أجهزة الكمبيوتر لحساب الوقت اللازم للتصنيع ويدونون ذلك في وثائق الاتفاقيات.

ازدياد أعداد السيارات في المدن اليابانية:

في سنة (١٩٦٠ م) كان في شوارع مدينة طوكيو ما يقارب الثمانين ألفاً من السيارات وقد رأيت ذلك بأم عيني. وكنت أعتقد بأن تلك الشوارع قد وصلت إلى حد الإشباع. إلا أنه عندما عدت إلى طوكيو في سنة ١٩٦٥ م رأيت ملايين من السيارات في شوارعها في مجيء ورواح ومن غير توقف وقد كانت تلك الحالة محل تعجب بالنسبة لي. وبعد البحث والتحقيق وجدت أن السبب في هذه الحركة هو وجود الشوارع والأزقة الواسعة بالإضافة إلى الخطوط السريعة والتي أنفق على إنشائها المبالغ العظيمة.

واليابانيون الذين يعانون من نقص الأماكن الصالحة للعيش لا شك أنهم وبطريق أولى لا يملكون الأماكن الكافية لمواقف السيارات. ومن أجل التغلب على مشكلة المواقف لجأوا إلى عدة طرق منها استخدام الساحات الواسعة التي تقع أمام المعابد البوذية والتي تكثر في اليابان، كما أنهم استغنوا عن الحدائق البيتية وحولوا السير في شوارع كثيرة إلى اتجاه واحد فقط. وفي مراكز المدن أنشئت المواقف المتعددة الطوابق، كما أن بعض المحلات التجارية الكبيرة قامت بإنشاء مواقف سيارات متعددة الطوابق تحت الأرض.

والعجيب أنه بالرغم من حالة الازدحام في الشوارع وقلة المواقف إلا أن أعداد السيارات آخذة في الازدياد ولا يتوانى أحد في شراء سيارة إذا ما تمكن من ذلك.

صناعة السيارات في اليابان:

توسعت صناعة السيارات في اليابان ليس للحد الذي تسد فيه حاجة السوق الداخلية فقط وإنما للحد الذي تنافس صناعة السيارات العالمية في أسواق ما وراء البحار.

فشركة هوندا صنعت سيارات متوسطة وحتى سيارات سبورت والتي وجدت لها مشترين بأعداد كبيرة في العالم.

وتتمتع صناعة السيارات اليابانية برخصٍ في قيمة الفولاذ وبمهارة الصناعة اليدوية وميزات فنية كثيرة مما جعلها واسعة

الانتشار في السوق العالمي.

التنافس بين اليابانيين أنفسهم:

من بين الميزات السيئة التي تعاني منها عملية التصدير اليابانية هي وقوعها في المنافسة بين المصدرين اليابانيين أنفسهم. فإذا نجحت صادرات إحدى الشركات في بلد ما، فإن الشركات الأخرى تعمد إلى تصدير مصنوعاتها من نفس النوع وبالتالي تنخفض أسعار تلك الصادرات. وفي كثير من الأحيان وبالاعتماد على الدعاية التي قامت بها الشركة الأولى وبأعمال دعائية خاصة، تقوم الشركات المنافسة بالتخفيض لأسعار منتجاتها.

ولا شك إن مثل هذه الأعمال هي مصدر للأسف ومصدر لعدم الارتياح من جانب الحكومة اليابانية والتجار اليابانيين، إلا أنه ولأسباب خاصة فإن اليابانيين ينسون هذه الحالة التنافسية المتهورة، أي بمعنى آخر إنهم يستمرون في ممارستها.

والأمر لا يقتصر على التجارة الخارجية وإنما يمتد إلى أمور أخرى حتى باتت المشكلة تشكل جزءاً من حياة اليابانيين العادية. في الوقت الحاضر مثلاً تقوم كثير من الصحف اليابانية بإرسال مبعوثين لها إلى المدن الكبرى العالمية ليس فقط من أجل نقل الأخبار اليومية وإنما من أجل رفع مكانة تلك الصحف ومن أجل السمعة.

إنني أتذكر مثلاً كيف أن صحيفة «أساهي» قد بعثت بأحد

مراسليها إلى مدينة جنيف في الوقت الذي لم تكن هناك حاجة إلى مراسل دائم في مثل تلك المدينة الهادئة والساكنة. قد تكون أحداث جنيف المهمة والتي تحتاج إلى تغطية هي أحداث جلسات انعقاد مؤتمرات منظمة العمل الدولية ومنظمة التجارة الدولية، أما بقية الأوقات، فإن المدينة تعيش حياة هادئة ساكنة. الغريب أنه بعد أن بعثت صحيفة «أساهي» بمراسلها إلى جنيف، قامت سبع صحف أخرى بإرسال مندوبين عنها وبشكل دائم. المندوبون لا زالوا حتى الآن يقيمون في جنيف ولكن من دون عمل يذكر.

ومثل ما حدث في جنيف فإن الصحف اليابانية الكبرى والصغرى ومؤسسة الراديو والتلفزيون قامت جميعها بإرسال مندوبين دائمين إلى كل من نيويورك ولندن بل وحتى إلى مدينة نيودلهي بالهند. بالطبع، مثل تلك المنافسة لا ينتج عنها إلا تدفق العملة الصعبة في الوقت الذي يمكن أن يستغنى عن كل ذلك بالاستعانة بالمؤسسات الصحفية الكبرى العالمية.

في طوكيو، تصدر أربع صحف يومية باللغة الإنجليزية. بالطبع، صحيفة «الأزمنة اليابانية» هي الصحيفة الأولى التي صدرت باللغة الإنجليزية منذ ما يقارب الثمانين سنة وقد صدرت من أجل الناطقين باللغة الإنجليزية، أي الأجانب الذين كانوا يعيشون في اليابان. وأول صحيفة بدأت في إصدار صحيفة باللغة الإنجليزية هي صحيفة «ماي نيجي» وبعدها صحيفة «أساهي». وثم أصدرت صحيفة «يومي يوري» صحيفتها باللغة الإنجليزية. ومعلوم أن إصدار أربع صحف باللغة الإنجليزية في طوكيو لا يدر أرباحاً أبداً وإنما هي

المنافسة المغلوطة والرغبة في إثبات الذات.

وتمتد هذه المنافسة الشرسة بين الشركات اليابانية إلى التعامل مع الشركات والتجار الأجانب وحتى إلى التعامل مع المؤسسات التابعة للدول كالمؤسسات الروسية وما ينتج عنها هو حصول تلك الدول على عقود تحت أحسن الظروف ويعني أن الخاسر هي الشركات اليابانية.

ولا شك أن هذه المنافسة تخضع إلى إثبات الذات والأوامر المعطاة لمندوبي الشركات اليابانية «مهما يحصل ولو أدى إلى تضرر الجميع، قوموا بمنافسة الآخرين» وفي اللهجة المحلية اليابانية، إن التجارة اليابانية هي عبارة عن «ساحة دامية» وهي تجارة لا تعود بالربح على أصحابها وإنما تعود بالضرر عليهم ومن أجل ذلك يقومون بتعويض خسارتهم من خلال مبيعاتهم في السوق المحلي.

بالطبع، هذا لا يعني دائماً أن التنافس والتسابق بين الشركات والتجار اليابانيين هما مصدر خسارة وضرر، بل في بعض الجوانب هما مصدر تجديد وتحسن في نوعية الأداء والإنتاج مما يزيد في عدد الراغبين في شراء المنتوجات اليابانية.

عندما بدأت الصناعات البتروكيميائية بالدخول في اليابان تشكلت مجموعة باسم «زايباتسو» من أجل إقامة المشاريع البتروكيميائية. ولكن بعد فترة قصيرة من تشكيل مجموعة «زايباتسو» تشكلت مجموعة أخرى منافسة في نفس المجال.

أدى التنافس إلى اضطراب الشركات مما دعاها إلى الطلب من

الحكومة بالتدخل من أجل وقف ذلك النوع من التنافس ولكن الحكومة لم تتدخل مدعية أنه في ظل تلك التنافسات يمكن تحقيق الأرباح والمصالح. والجدير بالذكر أن بعض الشركات تصل إلى قناعات بضرورة التنسيق مع بعضها البعض عندما تصل بها الحال إلى حد المأزق من شدة التنافس. وبالطبع تشجع الحكومة هذا الاتجاه إذا ما اقتنع به أصحاب الشركات وأصحاب المصالح. فمثلاً، حدث أن وضعت بعض القيود على تجارة المنسوجات القطنية والفايبر الصناعي.

برغم التغييرات التي طرأت على الأوضاع فيما بعد الحرب العالمية الثانية إلا أن هناك مجموعة من قوانين زمن ما قبل الحرب لا زالت سارية المفعول وحتى أن بعضها يقف حجر عثرة أمام تصدير بعض الصناعات اليابانية للخارج.

إن الزيادة السكانية وزيادة الإنتاج حرضا ودفعا باليابان إلى التفتيش عن أسواق جديدة في العالم. كما أن التغييرات التي حصلت بعد سنة ١٩٤٥ م حولت اليابان من بلد نصف إقطاعي إلى بلد نصف صناعي وأوجدت أمة تمتلك سياسة واقتصاداً ومستوى من المعيشة مماثلاً لمستوى المعيشة في الدول الغربية.

وفي الوقت الحاضر تعتبر اليابان في مصاف الدول الأوروبية وفي قبالة دول أمريكا الشمالية.

ارتفاع مستوى الإنتاج الصناعي وأثر أواني الطبخ

ارتفاع مستوى الانتاج الصناعي وأثر أواني المطبخ الكهربائية:

ارتفعت نسب مستويات إنتاج صناعات ما قبل الحرب العالمية الثانية مع بداية خمسينات القرن العشرين ومع الزيادة في الإنتاج ازدادت نسب الاستهلاك المحلي. ومع ثبات الأسعار وزيادة مستويات الدخل بالنسبة للعامل الياباني، أصبح بإمكانه إدخال وسائل الترفيه وإمكانات أخرى إلى بيته. لذا شهدت تلك الفترة الزمنية زيادة في إنتاج الغسالات والتلفزيونات والوسائل اليدوية الأخرى وعلى رأسها أدوات تحضير الأرز الكهربائية. وقد كان على ربة البيت اليابانية، قبل عام ١٩٥٠ م أن تستيقظ في الصباح قبل الجميع بساعة من أجل أن تحضر وجبة الإفطار والتي أساسها الأرز. إلا أن اختراع هذه الأدوات الكهربائية قد سهلت حياة ربة البيت أو الخادمة إذ ليس عليهما إلا أن تضعا الأرز في الإناء وتضبطا درجة الحرارة والوقت اللازمين وتعودا بعد ذلك إلى فراشيهما. كما أن العائلات اليابانية أخذت تتحول من وجبات الإفطار التقليدية المشكلة من الأرز والخيار والشوربة إلى الوجبات الغربية والمشكلة من الخبز والزبدة والشاي أو القهوة وهي أسهل في التحضير. بالإضافة إلى أن دخول الثلاجات الكهربائية للبيوت اليابانية خلقت عادات جديدة في هيكلية شراء المواد الغذائية. لكن ضيق المطبخ الياباني يجعل من الصعب على ربة البيت تخزين مواد غذائية لأيام عديدة مما يدعوها إلى ترك البيت عدداً من المرات لشراء ما تحتاجه

يومياً وقطع مسافات طويلة بعض الأحيان. بالطبع، سهل انتشار محلات البيع الكبيرة حياة ربة البيت اليابانية إذ تجد فيها كل ما تحتاج لاستهلاكها اليومي كما وقلل خروجها من البيت.

إقبال المرأة اليابانية على أماكن تعليم الخياطة:

ازدياد أوقات الفراغ لدى العائلات اليابانية، دفع بالمرأة إلى الالتحاق بمدارس تعليم الخياطة والطبخ وترتيب الزهور أو القيام بنشاطات أخرى تقليدية. حتى أن بعض مدارس تعليم الخياطة صارت تمتلك مبان متعددة الطوابق وواسعة ويؤمها آلاف النساء اليابانيات من أجل الالتحاق بفصولها.

لماذا انتشرت لعبة الجولف في اليابان؟

ليس من السهل التحدث عن أسباب انجذاب اليابانيين نحو لعبة «الجولف».

ومعلوم أن لعبة «الجولف» تخرج لاعبها من البيت الضيق إلى الأرض الخضراء الواسعة كما أنها توجد تنوعاً في حياته بالإضافة إلى أن مهارة الياباني اليدوية تجعله هدافاً بارعاً في هذه اللعبة مما يجذبه إليها أكثر. وغالبية ملاعب «الجولف» مضاءة للاستفادة منها ليلاً حتى أن بعض لاعبي «الجولف» يمارسونها حتى أوقات متأخرة من الليل وإن بعض هواتها يبحثون عن أحسن ملاعبها.

في سنة ١٩٥٨ م زار رئيس وزراء اليابان السيد «كيشي» الولايات المتحدة الأمريكية لأول مرة فدعاه رئيسها آنذاك «ايزنهاور» إلى مشاركته في لعبة الجولف. لم تكن تلك الدعوة مصدراً لارتياح

رئيس الوزراء الياباني فقط بل كتبت عنها كل الصحف اليابانية بالتفصيل وقرأها اليابانيون متأثرين باللطف السياسي الأمريكي. ولا شك أن اليابانيين ينظرون إلى دعوة رئيس وزرائهم من قبل رئيس الولايات المتحدة الأمريكية لمشاركته في لعبة الجولف مساواة لليابان بالولايات المتحدة الأمريكية. ولقد غذت غالبية الصحف اليابانية هذه الفكرة واصفة الزيارة بأنها كانت موفقة جداً مما دفع باليابانيين إلى التعلق أكثر بلعبة الجولف.

إن ذلك التعلق لم يكن تعلقاً مؤقتاً بل هو تعلق دائم إذ أن ملاعب الجولف كان عددها ثلاثين ملعباً قبل الحرب العالمية الثانية أما الآن فوصل عددها إلى الأربعمائة وخمسين ملعباً ناهيك عن الملاعب التي تحت التشييد. بالطبع، الملاعب تكون مشغولة بشكل دائم على مدار الأربعة والعشرين ساعة. والعجيب أن مساحة كل أراضي ملاعب الجولف تعادل مساحة إحدى المحافظات في الوقت الذي يشتكي فيه الناس من ضيق المساحة.

ومعلوم أن الاشتراك في ملاعب الجولف يكلف كثيراً وتقوم المؤسسات التجارية والصناعية الكبرى بدفع التكاليف عن موظفيها الكبار لكي يقضوا أوقات فراغهم بممارسة لعبة الجولف. وفي السابق، كان الموظفون الكبار يتمتعون بميزات كثيرة منها حضور حفلات الشاي الخاصة والتي تعمل فيها فتيات الجيشا أما الآن فاستبدلت هذه الحفلات بالحضور في ملاعب الجولف.

النجاح العظيم للتزلج في اليابان:

يزاول الجيل الجديد الياباني مختلف وسائل الترفيه والرياضة ومن بينها رياضة التزلج التي لاقت نجاحاً عظيماً. والغربيون ارتكبوا خطأ عندما تصوروا أن اليابانيين هم من الشعوب التي لا تحب البرد وبالتالي فإنهم لا يجيدون رياضة التزلج. وبقي ذلك التصور حتى عام ١٩٧٢ م عندما أقيمت دورة الألعاب الأولمبية الشتوية في مدينة «سابورو» في جزيرة «هوكايدو». يتراوح عدد الممارسين لرياضة التزلج على الجليد بين الخمسة والستة ملايين. وأن اليابانيين، في الوقت الحاضر، لا بد أن يكونوا من بين الفائزين في مباريات التزلج في العالم.

والآن، تنتشر ملاعب رياضة التزلج في كل أنحاء اليابان والمزودة بكل وسائل الترفيه والراحة من قبيل الفنادق والنقالات الكهربائية الضرورية للانتقال من وإلى تلك الملاعب.

وفي فصل الشتاء تزداد حركة القطارات من المدن الكبرى إلى تلك الملاعب. كما تنتشر مراكز التدريب بالقرب من مواقع التزلج وبعض تلك المراكز يشرف عليها بعض الأوروبيين. ويمارس اليابانيون إلى جانب تلك الرياضة التقليدية ألعاباً ورياضات أخرى مثل التزلج على الماء والسباحة تحت الماء والبولينج.

كما انتشرت البلاجات بالقرب من شواطيء البحر والتي يؤمها اليابانيون في أيام عطلهم. وأقيمت الفنادق والمقاهي لخدمة رواد البحر.

الفنادق الفخمة:

تتفوق بعض الفنادق المقامة في الجبال أو بالقرب من سواحل البحر في اليابان بمراتب عديدة على الفنادق ذات الخمس نجوم المقامة في أمريكا وأوروبا وتؤمها مجموعات منظمة في الغالب من اليابانيين باعتبار أن اليابانيين يتمتعون تاريخياً بحب العمل الجماعي. والمؤسسات المختلفة تقوم بتنظيم رحلات جماعية لموظفيها لقضاء عطلة نهاية الأسبوع بالقرب من سواحل البحر أو في الجبال ومن ثم الاستفادة من خدمات تلك الفنادق المقامة هناك. وكما توفر المؤسسات المختلفة تلك الفرص لموظفيها فإن الجامعات والحكومة توفر هي بالتالي لموظفيها وبشكل جماعي فرصاً مماثلة.

ومن خصوصيات التعليم في اليابان الناجحة والموفقة جداً الاستفادة من الرحلات الجماعية التعليمية حيث يقوم المعلمون والطلاب بمثل تلك الرحلات إلى مناطق مختلفة من اليابان من أجل أهداف جغرافية وتاريخية. فمثلاً تنطلق مجموعة من الطلاب والمدرسين من إحدى مدارس جزيرة «هوكايدو» إلى مدينة طوكيو للتعرف عن كثب على الحياة فيها. بالطبع تقوم المدرسة بالترتيب لبرنامج الرحلة وتشارك الطلاب في تكاليفها، كما أن مثل هذه الرحلة تسهل كثيراً على الطلبة المطالعات الجغرافية والتاريخية إذ أنها تتحول إلى دروس أشبه بالعملية. بالإضافة إلى كون هذه الرحلات الجماعية تعلم أفرادها على الأعمال الجماعية بدلاً عن

الأعمال الفردية.

وعلى أية حال، تجد هذه الرحلات الجماعية هوى من جانب اليابانيين وبشكل متزايد، حتى أن كثيراً من الفنادق باتت مراكز ثابتة ومعروفة باستقبالها للمجموعات المختلفة والتي تأتي في رحلات جماعية ومنظمة. كما أصبحت تلك الجماعات مصدراً لسرور وفرجة أصحاب الفنادق.

١١٠ مليون يابانيا مستهلك

المجتمع الجديد. . استهلاكي:

لقد اختفت خصلتا القناعة وضبط النفس «القناعة وضبط النفس عند اليابانيين في الماضي كانتا في صالح مجتمع اليابان الاستهلاكي اليوم» مما يتطلب وضع برنامج متكامل يهتم بالمستقبل والمستوى المعيشي للشعب وقائم على اقتصاد سليم وبرنامج إدخار وطني. إلا أنه وبالرغم من ذلك فإن كثيراً من العائلات اليابانية لا زالت تجهل الإقتصاد والسياسات العائلية الصحيحة. ففي الوقت الذي يستبدل اليابانيون اللحم بمرق فول الصويا فإنهم يصرفون أموالهم في شراء تذاكر الحفلات الغنائية والموسيقية «موسيقي باخ وبتهوفن» أو في شراء السيارات من قبل الشباب بينما تفتقد فيه بيوتهم لأبسط الوسائل الصحية وقد يصعب على الطلاب توفير مصاريفهم المدرسية الشهرية. إن الإقبال على هذه الوسائل الترفيهية المؤقتة شديد حتى أن كثيراً من الشعب الياباني يقدمها ويفضلها على الحياة الطويلة والمنظمة.

وبعد الحرب العالمية الثانية، نسيت غالبية القيم التقليدية التي بنيت على الأسس العائلية والاجتماعية خصوصاً من قبل الجيل الجديد. واليوم، كل أفراد الشعب أحرار في ممارسة أي عمل ترفيهي كان إلى ما قبل انتهاء الحرب العالمية الثانية ممنوعاً.

وفي السابق، كانت القناعة في اليابان متجذرة إلى الحد الذي لا تضاهى في أي بلد آخر إلا في البلدان البروتستنتية المذهب. واليوم، يوجد أناس من اليابانيين ممن ينفقون جزءاً مهماً من أموالهم على برامج ترفيهية بحجة أنها لذة حياتية في الوقت الذي كان اليابانيون سابقاً يمارسون تلك البرامج بشكل فصلي أو في الاحتفالات الدينية. والسبب واضح ويعود إلى كون بعض برامج الترفيه يقف وراءها التجار ولذا فهي في زيادة دائمة.

الاتساع والرقي المنطقيان:

نتيجة لارتفاع مستوى المعيشة عن طريق التوسع الإقتصادي فإن التضخم المنطقي في اليابان آخذ في الارتفاع.

وأي شخص، في الماضي، كان مبتلى بالحرمان والفاقة وبالاعتقادات الدينية فإنه اليوم يعيش حراً ولا يفكر بما يحمله المستقبل بل ويربي نفسه على بعض الأفكار الشرقية مثل «عندما يصير الغد فكر فيه».

ومن جانبها، لعبت وسائل الإعلام والدعاية دوراً في الترغيب

لحياة الإستهلاك ونتيجة لذلك تحول الغرور الوطني إلى احتراف الرياضة أو إلى قراءة المجلات والقصص التافهة.

واشتهرت لعبة البلياردو الكهربائية بين اليابانيين مما أدى إلى انتشار إتلاف الوقت بينهم وهو دليل فساد طرأ على الحياة اليابانية. بالطبع، افتقاد السياسة الواقعية والأهداف ذات القيمة في مثل هذه الأمور هو السبب الأصلي وراء عدم الاهتمام الشعبي. وبعد قبول الحياة الاستهلاكية وكل أنواع الأخلاقيات من جانب الناس، أخذ مستوى المعيشة بالنسبة لليابانيين يرتفع بشكل مستمر مما ربط هذه البلاد بالسوق الاستهلاكي العالمي الكبير. وكلما ازدادت مداخيل الجيل الجديد، كلما شكلوا سوقاً أوسع بالنسبة للصناعات الأجنبية. بالطبع يحاول هؤلاء شراء احتياجاتهم في الغالب من الصناعات الداخلية إلا أنهم لا ينسون الصناعات الخارجية مثل أدوات التجميل، الكحول الإنجليزي، العطور الفرنسية والأحذية الإيطالية. واليوم يمكن مشاهدة أشهر الصناعات الأجنبية، والتي تباع عادة في أشهر شوارع نيويورك ولندن وباريس، في محلات طوكيو وبأغلى الأسعار. ومن شدة زيادة الطلب على الصناعات الراقية الأجنبية فإن غالبية المحلات الراقية الأوروبية والأمريكية قامت بفتح فروع لها في اليابان حتى أن محل خياطة مشهور في لندن افتتح فرعاً له في واحد من محلات البيع الكبيرة في طوكيو. وقام أحد المطاعم الباريسية المشهورة عالمياً بافتتاح فرع له في شارع «جينزا» في طوكيو وهو شارع في مستوى شارع الشانزليزيه الباريسي.

وفي السنوات الأخيرة، تقدمت صناعة الساعات اليابانية إلى

درجة كبيرة جداً حتى أنها تجاوزت في ذلك الساعات السويسرية المعروفة. لكن اليابانيين استمروا في شراء الساعات السويسرية كما استمروا في شراء أي صناعة أجنبية والسبب يرجع إلى حالة الانزواء التي عانت منها اليابان طيلة قرون سابقة امتدت إلى ثلاثة قرون.

يسافرون ويجلبون الهدايا معهم:

يسافر اليابانيون اليوم في شكل مجموعات إلى أوروبا وأمريكا وفي طريق عودتهم يجلبون معهم الهدايا لأقاربهم وأصدقائهم إذ أن جلب الهدايا هي عادة رائجة في اليابان. العجيب أن غالبية الهدايا التي يجلبها اليابانيون لأصدقائهم وأقاربهم من أوروبا وأمريكا هي من صنع ياباني ولكنهم عند شرائها لا يلتفتون إلى ذلك وبالتالي تصبح مصدراً للحيرة والعجب لهم ولمن يجلبونها من أجلهم.

من بين الأشياء الثمينة جداً والتي تجد هوى عند اليابانيين، الألماس، لذا فإن إحدى الشركات اليابانية التجارية المعروفة قامت بفتح فرع لها في جنوب أفريقيا من أجل شراء الألماس وتوريده لليابان. في واحد من أسفاري لهولندا قابلت أحد اليابانيين في المطار، كان قد أقام فيها لعدة سنوات، وقد أصر على أن يشتري لي ألماساً. كان طلبه ذلك مثيراً للعجب الشديد إذ أنه غفل عن أن مثل ذلك الألماس يجلب إلى اليابان مباشرة من جنوب أفريقيا وأن ثمنه أقل من ثمن الألماس في أوروبا.

بعد ذلك علمت أن هذا الشخص مع شخص ياباني آخر، هما وكيلان لأحد بائعي الجواهر الهولنديين. ومهمتهما هي بيع الألماس للمسافرين اليابانيين والذين في غالبيتهم لا يعلمون أن مثيلاً لهذا الألماس يباع في اليابان بأسعار أقل. وبالنتيجة حقق بائع الجواهر الهولندي أرباحاً طائلة.

مشكلة التغرب في اليابان:

ارتفاع مستوى المعيشة في اليابان، في غالبيته من النوع المتغرب المفرط أو من النوع الذي تشوبه الروح الغربية المفرطة. واستعمال الوسائل المصنوعة في الغرب وعدم القدرة على الاستغناء عنها هو مصدر من مصادر الترويج لنموذج الحياة الغربية.

انتشر تشييد المباني الحكومية اليابانية على الطرازات الأوروبية والأمريكية مما استدعى تأثيثها بأثاث خارجي مستورد في الوقت الذي تكون فيه قطع الأثاث اليابانية متميزة على مثيلاتها بأضعاف. ويميل اليابانيون إلى قطع الموبيليا الدانماركية وإلى الكراسي والطاولات الإيطالية أو الإسبانية أو المصنوعة في أي دولة أوروبية أخرى.

ونتيجة لهذا التغرب فإن اليابانيين وأصحاب الفنادق اليابانية وبسبب كثرة السواح الأجانب لجأوا إلى استخدام الطهاة الفرنسيين والموسيقيين النمساويين كما لجأت المحلات الكبرى إلى استخدام

الخياطين الفرنسيين لتلبية الرغبات والميول الشعبية.

كما أن كل صناعي أو تاجر أجنبي يريد أن يحضر إلى اليابان لأول مرة فإنه يأتي حاملاً رسائل توصية من بعض اليابانيين إلى أناس معروفين في داخل اليابان من أجل أن يساعدوه للوصول إلى مقصده ومن دون أن يضيع وقته.

ويحتفظ اليابانيون ببطاقات التعارف أو ما يطلق عليها «Name Cards» والتي تحتوي على اسم وعنوان ووظيفة وتلفون أصحابها ويتبادلونها مع ضيوفهم وزوارهم وتلعب هذه البطاقات الكثير في تسهيل أعمال اليابانيين بما فيها عقد الاتفاقيات التجارية.

وينبغي أن لا نصاب بالإحباط من شدة الحيطة والاهتمام وحسن الضيافة التي يمتاز بها التجار وأصحاب الصناعات اليابانيين كما لا ينبغي أن يلاموا على تلك الخصال إذ أنهم يعتبرونها وسيلة توفر لهم محادثات صادقة وعميقة المحتوى مع الطرف الآخر. إن أكبر مشكلة في المباحثات مع الطراز الياباني تتمثل في عدم إمكانية معرفة الطرف المسؤول في المجموعة إذ أن غالبية الموظفين من الدرجات غير الرفيعة يتحملون مسؤوليات قيادية في المفاوضات. فمثلاً يُوزع الأشخاص المسؤولون عن شركة كبيرة ويشكلون لجان وتتخذ القرارات بعد إجراء المشاورات والنقاشات.

وإذا ما وقعت إحدى الشركات الكبرى المعروفة اتفاقاً على إنجاز عمل ما مع طرف آخر فإنها تنجزه بغض النظر عن أي تغييرات

في السوق أثناء إنجاز الاتفاق. أي ينبغي أن لا تؤثر تلك التغييرات على مجرى العمل القائم. والروابط الشخصية القوية بين الطرفين قد تتدخل وتنتهي كل الإشكالات برضاهما، أي رضا الطرفين. وإذا ما انتهت المباحثات بالاتفاق والرضا فإن نتائجها ينبغي أن تكون ملزمة للطرفين وينبغي التوقيع عليها[1].

الرشوة والفساد في اليابان:

على العكس من بقية الدول الآسيوية، تتمتع اليابان بعدم وجود الرشوة والتلاعبات المالية في عملية إنجاز الأعمال.

ففي دول آسيا وأمريكا الجنوبية تجري عمليات الارتشاء والتلاعبات المالية حتى في المعاملات والعقود الحكومية. حتى بات الناس يعرفون أن لا سبيل لتوقيع أي عقد من العقود الحكومية إلا إذا تم الدفع للوزير أو الموظفين الكبار، أي إلا إذا تمت رشوتهم.

---

(١) أين المؤلف من إتفاقية إيران ـ اليابان حول بناء معمل البتروكيميائيات! فقد اتفقت الحكومة الإيرانية في عهد الشاه مع شركة «ميتسوئي ـ Mitsui» على إقامة معمل للبتروكيميائيات على ساحل الخليج بمبلغ قدره مليار من الدولارات. وبعد الثورة التي حدثت في إيران ونشوب الحرب بين إيران والعراق وتعرض المعمل لبعض الأضرار طالبت الشركة المذكورة الحكومة الإيرانية الجديدة بدفع أربعة أضعاف الإتفاقية القديمة حتى يتم استكمال المشروع. (المترجم).

بالطبع، أنا «المؤلف» لا أريد أن أقول بأن لا وجود للفساد والرشوة في اليابان بتاتاً. وما حدث في سنة ١٩١٤ م مع شركة «سيمنس» هزّ البلاد وحير الشعب الياباني. وقصة ذلك معروفة إذ أن سلاح البحرية اليابانية قرر أن يؤمن بعض احتياجاته من العتاد والآلات من شركة سيمنس الألمانية وقد اكتشف فيما بعد تورط مجموعة من الضباط من ذوي الرتب العالية والموظفين الكبار في البحرية في استلام الرشاوي مما دفع الحكومة إلى القبض عليهم. وقد امتد أثر تلك الفضيحة إلى أمد بعيد. ومن شدة تأثيرها على الرأي العام، اندفعت مجموعات كبيرة من الشعب إلى مراكز البوليس ومكاتب الصحف للمطالبة بمحاكمة المتهمين ومجازاتهم كما استقالت حكومة رئيس الوزراء يومذاك السيد «ياماموتو» تحت تأثير الضغط الشعبي.

بعد حادثة سيمنس، وقعت حكومة «ياماموتو» تحت طائلة الانتقاد كما أفشيت فضائح بعض الوزراء خصوصاً وزير النقل الذي اتهم بالتخطيط لمرور القطار السريع بالمدينة التي يقيم فيها. بالطبع لم يتهم الوزير بتورطه في الرشوة والفساد، إلا أن الصحافة أخذت تضخم الأمور حول تلك القضية.

والرشوة والفساد في اليابان لا يقارنان بمثيليهما في الدول الآسيوية حتى بات الناس لا يولون تلك الأعمال التي تجري على أيدي الموظفين الكبار في بلدانهم أي اهتمام.

وبشكل عام، تجري المعاملات بين اليابانيين والأجانب حسب

الطريقة الغربية، كما تكتسى بنفس الشكل الذي تكتسيه المعاملات في بعض الدول الآسيوية. والمعاملات الصغيرة داخل اليابان تشوبها أعمال الرشوة فمثلاً يتسلم موظفو الحكومة المركزية في المحافظات الهدايا من الموظفين غير الحكوميين عندما يوقعون معهم عقوداً. كما باتت فضيحة «الموز» معروفة من قبل الشعب إذ أن إلغاء قرار تحديد استيراد الموز من تايوان كان بثمن وقد استلم الجزء الأكبر من ذلك الثمن أحد الأحزاب السياسية. ومثل هذه الأعمال رائجة في بلاد الغرب خصوصاً إذا ما تدخل السياسيون. كما أنه في أي وقت يتدخل السياسيون اليابانيون في المعاملات، يصبح دفع الهدايا والرشاوي أمراً محسوباً له حسابه.

أثر العلاقات الخاصة:

للعلاقات والروابط الخاصة والشخصية مكانة عظيمة بين اليابانيين. وأن الأشخاص الذين يتمتعون بحقوق إضافية ومزايا كثيرة هم أولئك الذين تربطهم بالمسؤولين علاقات خاصة وشخصية.

أذكر هنا قصة حدثت لي شخصياً «المؤلف» إذ كان لي بيت في منطقة جبل «كاروزاوا» وكنت أود أن أضيف له قطعة أرض صغيرة كان يملكها جار لي. اقترحت على جاري أن أبتاع منه قطعة الأرض وأن أدفع له مبلغاً كبيراً في مقابلها فرفض. وبعد تباحث الأمر وجدت أن هذا الجار له علاقة خاصة مع أحد زملائي في العمل. طلبت من زميلي في العمل التدخل في الأمر فكتب لي على بطاقة

الزيارة كلاماً سلمته لجاري فوافق في الحال.

القصة السابقة تبين أثر وأهمية الروابط الخاصة والصداقة في الاتفاقيات والمعاملات في المجتمع الياباني.

وإذا افترضنا أن ابني قد حصل على دبلوماً من إحدى الجامعات وأراد بعدها أن يحصل على عمل فما علي إلا أن ألجأ إلى أحد أصدقائي ممن يملكون نفوذاً حتى عند صاحب أكبر مؤسسة في اليابان أو مديرها لكي يطلب منه أن يقبل ابني في مؤسسته. ولا شك أن حظ ابني سوف يكون عظيماً في الحصول على العمل بهذه الطريقة بغض النظر عن المتقدمين الآخرين لطلب العمل. وفي اليابانية يقولون أن هذا الفعل هو «غير قابل لليأس» أو «غير قابل للسقوط إلى الأرض أمام الآخرين». وما فعله صديقي للتدخل لدى صاحب الأرض إلا لصداقته معي.

إن إقامة صداقات وعلاقات شخصية بين أشخاص يابانيين متنفذين وبين بعض أصحاب الصناعات والتجار الأوروبيين تعتبر فرصة مواتية لهم للحصول على أرباح كثيرة. بل وتصل الحال في بعض الأحايين إلى السماح لهم بالإقامة في اليابان وجمع ثروات عظيمة. إن كثيراً من الغربيين جاؤوا إلى اليابان بأيد خالية ولكنهم وتحت ظل الروابط والصداقات الشخصية مع أفراد يابانيين متنفذين استطاعوا أن يجمعوا ثروات هائلة.

الياباني هو ياباني بشكل دائم

هل يوجد يهود يابانيون؟

خلال سفري إلى بقاع مختلفة من العالم، تكرر على مسامعي هذا السؤال وهو: هل يوجد يابانيون يهود؟

هناك يهود إنجليز وبولنديون وحتى يهود هنود إلا أنه لا يوجد يهود يابانيون. حتى أنني أعرف شخصاً تحول إلى اليهودية بعد جهد ولكنه لم يستطع أن يبدل دين والديه وهذا سبب يدعو إلى وحدة اليابان الوطنية والقومية والعنصرية.

واليابانيون على العكس من الغربيين لا يتركون قوميتهم ولا وطنيتهم بأي شكل من الأشكال. في أوروبا يمكن مشاهدة بعض المسافرين ممن يحملون جوازات سفر أجنبية وفي بعض الأوقات يحملون جوازات سفر متعددة إلا أن هذا لا يمكن تصوره في اليابان. فمثلاً، ولد ابني في الولايات المتحدة الأمريكية وكان بإمكانه التمتع بالانتماء إلى دولتين إلا أنه في سن الحادية والعشرين

طلب التمتع بالجنسية الأمريكية ولذلك قام بالإعلان عن ذلك في الصحافة اليابانية الرسمية. عندما قرأ بعض أصدقائي الإعلان أبدوا انتقادهم بشدة وبعضهم الآخر قال أن مثل هذا العمل يخالف حب الوطن والوطنية(١).

يابانيون دائماً:

في وقتنا، كان كثير من الفتيات اليابانيات الشابات يصبغن جدائلهن بالألوان الحمراء والبلوطية ويجرين عمليات تجميل من أجل أن يظهرن بمظهر جميل ومن أجل أن يظهرن بمظهر الغربيات إلا أنهن يبقين يابانيات وحافظات لقوميتهن ووطنيتهن.

أما هذه الصفات المحددة للعرق الياباني فإنها مصدر مشكلات كثيرة بالنسبة للأطفال المستهجنين لأنهم لا يستطيعون الانتساب إلى مؤسسة معتبرة في اليابان. إلا أنهم يستطيعون العمل كمترجمين أو كمغنين إذا ما كانوا يعرفون الموسيقى والفن. بالطبع، تغير هذا الوضع إلى الأحسن بعد الحرب العالمية الثانية إلا أن آثاره لم تمح بشكل كامل.

وعندما حكم الأمريكيون اليابان بعد الحرب العالمية الثانية حدثت زيجات كثيرة بين اليابانيات ورجال من أجناس مختلفة كما

(١) حسب القانون الياباني فإنه يحق للمتزوج من يابانية أن يحصل على الجنسية اليابانية بشرط أن يتنازل عن جنسيته السابقة. (المترجم).

ولد في تلك الفترة من الزمن أطفال كثيرون غير شرعيين خصوصاً من ذوي البشرة السوداء. وقد كانت مشكلتهم أشد من غيرهم مما دفع السيدة «ساوادا» وهي زوجة أحد الدبلوماسيين المعروفين ومهتمة بالمسائل الاجتماعية والتي تملك دار حضانة بالقرب من يوكوهاما، إلى دعوة اليابانيين إلى معاملتهم كالأطفال اليابانيين. إلا أن اليابانيين لم يتفاعلوا مع دعوة السيدة «ساوادا» مما دعا إلى ترحيل أولئك إلى البرازيل عندما بلغوا سن الرشد.

بين اليابانيين أنفسهم هناك الاشتراكيون، الأحرار، المحافظون، الشيوعيون، الرأسماليون والماركسيون، إلا أن كل ذلك لم يؤثر ولم يؤدِ إلى تخريب الوحدة الوطنية. وفي اليابان، هناك مشاكل طبقية مثيلة لما هو موجود بالهند ودول أمريكا الشمالية إلا أنه لا توجد حروب طبقية ومذهبية بينها وهذا مما ساعد على حفظ الوحدة الوطنية.

والعادات الغذائية اليابانية لا تتشابه مع العادات الغذائية للشعوب الأخرى. وإذا كانت الشعوب الأخرى، بشكل عام، تفضل أطعمتها على أطعمة الآخرين فإن اليابانيين، بأي شكل من الأشكال، لا يتحولون عن طعامهم الوطني أي الأرز الياباني. بالطبع، الشعوب الآسيوية على علاقة بالأرز فالهنود أين ما ذهبوا تجدهم متعلقين بالأرز والكاري والشباتي.

والطعام الياباني في صورته الفخمة والراقية بالنسبة لليابانيين مشكل من الأرز المسلوق والخيار المملح ومرق فول الصويا.

أعرف أحد الصناعيين اليابانيين والذي كان من مؤيدي المآكل الغربية ويعتبرها ألذ وأسرع هضماً من الغذاء الياباني، دخل أحد المستشفيات في أمريكا للعلاج. أحد أصدقائه اليابانيين زاره في المستشفى لعيادته وحمل معه هدية مشكلة من الأرز المسلوق والفجل ومرق فول الصويا. الهدية كانت مصدراً للفرح الشديد بالنسبة للمريض واغرورقت عيناه بالدموع كما كان عاجزاً لفترة وجيزة عن الحديث.

البعض يرى أن العادات الغذائية اليابانية سوف تختفي لتفضيل الأجيال الجديدة للوجبات الغذائية الغربية عليها. وبالرغم من صحة تلك المقولة في بعض جوانبها إذ أننا نشاهد وجود اللحم والخبز على طاولة الطعام اليابانية اليوم إلا أنني «المؤلف» لا أرى إمكانية أن ينسى اليابانيون بما فيهم الأجيال الجديدة العادات الغذائية اليابانية كلية في المستقبل.

إن أصعب لغز ياباني بالنسبة للغربيين هي أن عليهم أن يفهموا عكس ما يسمعوا إذ أن اليابانيين عندما يجيبوا بالنفي فإنهم يعنون الإيجاب. كما أن من الأخلاق المميزة عند اليابانيين هي أنهم يغضبون بسرعة ويرضون بسرعة. وإذا كان أحد المواضيع، المرغوب شعبياً، واضحاً فإنهم لا يجرون وراءه وبنفس الحجم.

فمثلاً عندما تخرج مجموعات كبيرة في المظاهرات لمطالبة الحكومة بتخفيض الضرائب فإنها لا توقف العمل كما أن غضبها وصرخاتها تشبه النار المتصاعدة من التبن أو القش والتي سريعاً ما

تخمد. وعلى الرغم مما جرته القنابل النووية التي ألقيت على هيروشيما ونجازاكي من ويلات فإن القليل من اليابانيين يتذكرون ذلك بالطبع هناك اليساريون الذين يحاولون الاستفادة من ذلك الحدث أما بقية الشعب الياباني فهم لا يتذكرونه بتاتاً. وكنت قد أمضيت سنوات في بولندا وأعرف إلى أي مدى عانى البولنديون من النازيين كما أعرف أنهم لم ينسوا ذلك حتى الآن، إلا أن ذلك السلوك هو عكس السلوك الياباني.

ويخالط اليابانيون بعضهم البعض بشكل واسع إلا أنهم لا يتفاعلون كثيراً مع الأجنبي، وإذا ما جاءهم أجنبي كضيف فإنهم يبذلون بسخاء في ضيافته إلا أنه بالرغم من ذلك لا يشعر بالانسجام والراحة معهم. ومن المسلم به هو أن تكون الطبقة الوسطى اليابانية هي الأقدر على فتح أبواب الصداقة مع أصحاب البشرة البيضاء من الأجانب إلا أنهم وبشكل عام يفكرون بأن أي شيء مرتبط بضيوفهم غير قابل للدرك وبعضهم يحتفظ بما عنده مضمراً.

ويشتكي الأجانب الذين مروا باليابان أو الذين يقيمون بها من أنهم لم يدعوا إلى بيت ياباني أبداً. وأنا شخصياً «المؤلف» كنت أسكن في منطقة يسكنها سفراء أجانب وكان من بينهم سفير أوروبي كان يتمشى صباح كل يوم أحد بعيداً عن بيتي وكان يختلس النظر إليه آملاً أن أدعوه ليراه من الداخل. في صباح أحد الأيام كنت واقفاً أمام منزلي فرأيته وتعرفت عليه ودعوته إلى منزلي من أجل التحدث معه. ولا أنسى إلى أي حد كان هذا الشخص «السفير» مسروراً من دعوتي إياه كما أنه قال لي: «صار لي في اليابان أربع سنوات كسفير

لبلدي أمضيتها جميعاً في هذا المكان وهذه أول مرة يدعوني فيها ياباني إلى منزله».

واليابانيون مضيافون بلا حدود مع ضيوفهم الأجانب ويبذلون بسخاء تجاههم. ولكي يظهروا مدى ترحيبهم وحفاوتهم بالضيف فإنهم يكلفون أنفسهم الكثير ويصرفون بسخاء، وغالباً ما تكون الضيافة في أحد المطاعم. والسبب يعود إلى أن اليابانيين يتصورون بأن دعوة الضيف إلى المنزل ليست جالبة لحسن المعاشرة وأن الضيافة المنزلية هي عمل خسيس بالإضافة إلى أن الطعام المنزلي رخيص وأن تحضيره في المنزل واستخدام أوان صغيرة يشكل عملاً متعباً بالنسبة لربة البيت. وحتى أفراد العائلة والأصدقاء الحميمين لهم عندما يُدْعون إلى بيت أحد اليابانيين فإنهم يشعرون بضيق المكان خصوصاً بعد الحرب العالمية الثانية، وهذا سبب آخر من أسباب الضيافة في المطاعم. وبزيادة الدعوات الرسمية من قبل المؤسسات المختلفة في اليابان للأجانب فإن حظهم ضعيف في الدخول إلى بيوت اليابانيين.

إن استضافة واحد من ذوي البشرة البيضاء في بيت أحد اليابانيين تشكل مصدراً من مصادر عدم الارتياح بالنسبة لساكني ذلك البيت. أخيراً، عرضت إحدى محطات التلفزيون اليابانية مسرحية مسلية للغاية لأحد الكوميديين المعروفين «موري شيجه» وفرقته حول هذا الموضوع:

دعت عائلة يابانية رفيعة المستوى أحد الأمريكيين. أفراد العائلة

بكاملهم يبذلون كل ما في وسعهم للاحتفاء بضيفهم، فمن تنظيف الغرف بشكل جيد إلى تجهيز الطعام بمقادير كبيرة. تقوم ربة البيت بالاسترخاء من أجل إزالة آثار التعب ولتبقى بعد ذلك في انتظار الضيف. وعندما يبكي أحد الأطفال فإنهم يقولون: «أسكت لأن أحد البيض سوف يأتي!» وعندما يحضر الضيف فإن ربة البيت لا تستطيع أن تتكلم ولا بكلمة من شدة الانفعال. وقد لعب «موري شيجه» دور رب البيت الذي لم يكن مرتاحاً بسبب عدم اتقانه اللغة الإنجليزية جيداً. في نفس الوقت يسعى بقية أفراد العائلة إلى إظهار الحفاوة على أحسن وجه ومن أجل ذلك يفرطون في الترحيب للحد الذي يدعو إلى السخرية والضحك. وعندما تنتهي الزيارة يتنفس أفراد العائلة الصعداء شاكرين الله على ذلك.

ومن أجل معرفة الأسباب وراء حب المخالطة بين اليابانيين أنفسهم لا بد لنا من الرجوع إلى الماضي، إذ أن أحاسيسهم وحياتهم لها روابط بالماضي بشكل دائم وإن إقامة الروابط والصداقات تشكل حلقات تربطهم بالأجداد. ولكن ومنذ الهزيمة في الحرب العالمية الثانية أخذت هذه الروابط تضعف «بين الحاضر والماضي» إلا أن اليابانيين لم ينسوها، بل لا زالت باقية ومؤثرة تأثيراً كاملاً على حياة الأجيال القديمة. وفي اليابان هناك احتفال عظيم يقام في إحدى ليالي أواسط الصيف ويسمى بـ «ليلة الفوانيس العائمة». في هذا الاحتفال تعد مئات الفوانيس الورقية وتشعل بداخلها شموع كثيرة ومن ثم تترك على سطح الماء أملاً في تسلية أرواح الأجداد والأسلاف. مراسم هذا الاحتفال لها جذور في أعماق اليابانيين وفي

الوقت ذاته تشكل منظراً جميلاً للغاية وجذاباً.

في أوائل عصر الـ «ميجي» أي حوالي سنة ١٨٩٠ استعانت حكومة اليابان برجل أمريكي اسمه «دنسون» لمساعدتها في إقناع الدول الغربية لتغيير مواقفها من اليابان. ومن أجل المساعدة التي قدمها ذلك الشخص تقوم وزارة الخارجية اليابانية في كل سنة بالاحتفال بذكرى وفاته.

في منشوريا ومنغوليا وجزر المحيط الهادي تحملت اليابان خسائر كثيرة في الأرواح مما دعا إلى ممارسة الدفن الجماعي والعشوائي وقد ترتب على ذلك ضياع آثار تلك المقابر. ومنذ انتهاء الحرب حتى الآن والحكومة اليابانية في مكاتبة مستمرة مع الأمريكيين والصينيين والروس من أجل السماح لأهالي القتلى بزيارتهم. ولشدة ما أعطى أهالي قتلى الحرب للموضوع من أهمية فإن الحكومة اليابانية استمرت في المفاوضات لكي تحصل على إذن بالسفر لهم تماماً كما لو كانت تقوم بأي عمل سياسي مهم. وعندما حصلت على الإذن بالسفر لهم إلى تلك البقاع البعيدة استمرت المفاوضات ولكن هذه المرة بين الحكومة والأهالي من أجل مساعدتهم في دفع بعض تكاليف السفر.

ويزور اليابانيون بأعداد كبيرة معبد «ميجي» في طوكيو في أيام الربيع كل عام وفي أيام العطل الأسبوعية. كما يزور أشخاص كثيرون معبد «ياسوكومي» في طوكيو والذي يضم قبور قتلى الحرب خلال المائة سنة السابقة.

وواضح أن ذلك ليس تجديداً للوطنية ولكنه الإحساس بالرابطة بالماضي وتجليل وإكبار الأجداد الذين يعيشون في قلب كل واحد من أبناء الشعب الياباني.

في اليابان، كثير من اليابانيين يعتنقون أكثر من دين أي يعتنقون البوذية والشنتو وليس في ذلك تعارض بالنسبة لهم. والشنتو ليس ديناً بالمعنى الصحيح وإنما هو نوع من الاحترام والإكبار للماضي. وكما لا تعارض في اعتناق الياباني لدينين فإنه أيضاً لا يجد تعارضاً في اعتناق أكثر من دينين. فمثلاً، يمكن مشاهدة أحد اليابانيين في إحدى الكنائس يستمع للموعظة في الوقت الذي يمتلك فيه محراباً بوذياً كما يمتلك مجسماً لمعبد شنتو في بيته. ومع كل ذلك، فاليابان اليوم ليس بلداً متديناً وحتى الشنتو الذي يعتبر ديناً وطنياً قد تغير تركيبه. والآن، كثير من اليابانيين يعيشون بدون دين حتى أنهم لا يعرفون البوذية كديانة. هناك حوالي نصف مليون ياباني تابعون للمسيحية ولكنهم يعيشون متحابين مع إخوانهم البوذيين.

واليابان بلد التشريفات المفرطة. واليابانيون ينحنون عندما يلتقون بعضهم بعضاً أي عند التحية. بعضهم يصل في انحنائه إلى حد كبير يصل إلى (٩٠) درجة ولكن الجيل الشاب لا ينحنون بذلك الشكل المفرط. وأنا شخصياً «المؤلف» ونتيجة للمدة الطويلة التي قضيتها في الدول الأوروبية، تعودت هز الرأس والتحية بالأيدي. وعندما رجعت إلى اليابان حاولت أن أجرب الطريقة الجديدة ولكن أصدقائي اليابانيين لم يتلقوها بجدية ونتيجة لذلك عدت إلى ممارسة

التحية على الطريقة اليابانية .

محطات القطار والمطارات اليابانية غالباً ما تكون ممتلئة بالناس وفي الواقع هؤلاء ليسوا جميعاً مسافرين وإنما، في الغالب، مستقبلون ومودعون لمسافرين. وإذا ما أراد أحد موظفي وزارة الخارجية السفر للخارج فإن مئات من أصدقائه وزملائه في العمل يحضرون إلى المطار لتوديعه .

ولا شك أن عدد المستقبلين أو المودعين الذين يحضرون إلى المطار أو محطة القطار يعتمد على مكانة الشخص. لكن إذا أراد ولو شخص عادي السفر، فإنك تراه محاصراً من قبل أصدقائه وأفراد عائلته في المطار أو محطة القطار. وأفراد المؤسسة أو الشركة الجديدة يستقبلون رئيسهم في المطار أو أي محطة قطار وإذا لم يفعلوا فإن ذلك يعتبر شيئاً مستهجناً ومخزياً بالنسبة للشركة .

بالطبع، تؤدي هذه الحركات «الذهاب والإياب» لمثل هذه المجموعات إلى زيادة الازدحام وبطء سير وسائل المواصلات .

إذا أراد اليابانيون الحضور في اجتماعات مهمة مثل احتفالات الزواج أو الكوكتيل أو مراسم الدفن فإنه يتوجب عليهم ارتداء بدلة كاملة باللون الأسود. وإذا أراد أحد اليابانيين زيارة صديق له فإن عليه إحضار هدية معه وإلا اعتبر إنساناً غير مؤدب. وباستثناء ذلك فإن اليابانيين يتبادلون الهدايا مرتين في العام أي في نهايته وفي الربيع. فمثلاً، يتبادل أولياء الطلاب والمدرسين الهدايا وهكذا العمال والرؤساء. والهدايا المتبادلة تبدأ من علبة حلويات أو كعك

وتنتهي بأشياء ثمينة جداً. على سبيل المثال: مذياع، تلفزيون قلادة من اللؤلؤ أو سيارة ثم إن الهدية تعتمد على درجة الصداقة بين الطرفين. وبسبب تعمق عادة الإهداء وتجذرها بين اليابانيين فإن الأسواق تشهد ازدحاماً شديداً في شهري يونية وديسمبر من كل سنة. وأغلب المحلات التجارية الكبيرة في اليابان تقدم خدمات كاملة لإيصال المشتريات لأصحابها وخلال الشهرين المذكورين يكون عملها مزدحماً فوق المعتاد.

الهدايا التي تقدم لموظف كبير في وزارة التجارة أو وزارة المالية تصل في بعض الأحيان إلى مقدار يملأ غرفة. بعض الموظفين الكبار الحكوميين لا يستفيدون في الغالب من الهدايا بأكملها فيعمدون إلى بيعها بثمن بخس. وبالمثل يقال بالنسبة لأكثر السياسيين المهمين إذ أنهم لا يحتاجون لشراء المواد الغذائية لأنهم يحصلون عليها كهدايا في جميع الفصول من أصدقائهم. هذه الهدايا تشمل المعلبات، أنواع مختلفة من الشراب، الكحول المستوردة ومنتوجات فصلية. إن عادة تبادل الهدايا هي عادة الأجداد واليوم وفي القرن العشرين لا زالت هذه العادة رائجة بشكل كامل ولا يتمكن أي فرد ياباني من نسيانها.

ويحترم اليابانيون عادة تبادل بطاقات التهنئة بالعام الجديد ولا يقتصر تبادلها بين الأصدقاء بل تمتد هذه العادة حتى بين المتعارفين ولو معرفة سطحية. واليابانيون يبذلون المال والوقت في نهاية كل عام من أجل إرسال تلك البطاقات لمعارفهم وأصدقائهم إلى درجة تكون فيها هذه العملية مصدر عذاب لموظفي البريد.

من كل تلك العادات يمكن أن نحكم على الياباني بأن لا نظير له في الصداقة. وبشكل عام فإن الياباني إذا صادق أحداً، بخلاف الأجانب، فإن صداقته عميقة وواقعية كما أن للمحبة العظيمة موقعها في تلك الصداقة والرابطة، وإذا تصادق الياباني مع أحد فإن صداقته غير قابلة للإخلال والخراب كما أنها لا تقدر بثمن. واليابانيون إذا ما صادقوا أحداً فإنهم يفتدونه بل ويتركون عاداتهم الوطنية من أجله. مثلاً، ذهبت «المؤلف» إلى إحدى القرى في كولومبيا بأمريكا الجنوبية والتقيت بعائلة يابانية مهاجرة تعيش في مزرعة هناك ومنقطعة تماماً عن بقية أفراد الجالية اليابانية. وبعد التحقيق في الأمر عرفت أن هذه العائلة تعارفت وتصادقت مع أهل القرية إلى الحد الذي نسيت فيه الغذاء الوطني «الأرز» وتبادل بطاقات المعايدة والتهنئة والهدايا. وبما أن تلك العادات والسنن اليابانية لم تعد لها فإنها وبشكل طبيعية قطعت ارتباطها باليابانيين.

سنة ١٨٦٨ م وما تلاها
في اليابان

بدأ تاريخ اليابان قبل ميلاد السيد المسيح بـ (٦٦٠) سنة وما قبل هذا التاريخ ليس إلا بقايا قصص قديمة وأساطير. ويتفق المؤرخون بأن مجموعة من العائلات القوية شكلت أول أمبراطورية في أواخر القرن الثالث وبداية القرن الرابع الميلاديين وانتخبت أول أمبراطور في دورة أو سلسلة «ياماتو». ويعتبر أباطرة سلسلة «ياماتو» الحكام الفعليون لليابان منذ تشكلت السلسلة حتى الآن. والأمبراطور الفعلي يحمل الرقم «١٢٤» من بين الأباطرة الذين حكموا اليابان. «وياماتو» هو اسم ياباني قديم واليوم يطلق على محافظة «نارا ياماتو» باعتبار أن أول أمبراطورية يابانية تشكلت هناك، أي في «نارا».

امتدت سلطة أباطرة «ياماتو» بالإضافة إلى شرق اليابان، إلى شبه الجزيرة الكورية في بعض الأوقات. كما أن الارتباط بالصين سمح بدخول الثقافة الصينية، الكونفوشيوسية والبوذية، لليابان في القرن الرابع الميلادي. ولا شك أن دخول الثقافة الصينية لليابان

ساعد على توسع الثقافة اليابانية وخصوصاً دخول البوذية التي دعمها أباطرة سلسلة أو عائلة «ياماتو».

والقرن السابع الميلادي هو قرن ازدهار الثقافة البوذية إذ بنيت المعابد وأقيمت التماثيل البوذية بداخلها. ففي عام (٦٠٧ م) أقيم معبد «هريوجي» في «نارا» بالإضافة إلى التماثيل التي بداخله.

في عام (٧٠١ م) قرر أباطرة «ياماتو» اتخاذ «نارا» عاصمة للأمبراطورية وقبل ذلك كان المقر الأمبراطوري يتنقل من مكان إلى آخر حسب تواجد الأمبراطور والمكان الذي يستقر فيه. وتعتبر «نارا» أول عاصمة دائمة لليابان لمدة (١٥٠) سنة وحكم فيها وخلال تلك الفترة سبعة أباطرة. تلك الفترة يطلق عليها دورة «نارا» والتي انتعشت فيها الروابط اليابانية الصينية واشتهرت بالفن الجميل واتساع رقعة العلوم بشكل ملفت. كما أقيمت وبنيت في هذه الدورة المجسمات الكثيرة ومن بينها مجسمة عظيمة لبوذا من الأرز والتي أقيمت في معبد «توداي جي». ولا زالت باقية حتى اليوم كشاهد على دورة «نارا». وفي سنة (٧٩٤ م) انتقلت العاصمة من «نارا» إلى «كيوتو» وفي «كيوتو» توسعت الثقافة البوذية والآداب العظيمة. دورة «كيوتو» عرفت بـ «هيان» والتي امتدت من سنة (٧٩٤ م) حتى سنة (١١٩٢ م) أي ما يقارب الأربعة قرون. أما عائلة «فوجي وارا» فقد حكمت بين (٨٥٨ م) و (١٠٨٦ م) وقد كان على رأس إنجازاتها إنهاء سلطة العسكر من كامل مناطق البلاد. كما جاءت عائلة «تايزا» والتي انتهت بمجيء عائلة منافسة لها. في عام (١١٨٩ م) وصلت عائلة «يوري موتو» إلى المناصب العليا في

السلطة وفي سنة (١١٩٢ م) أعلن رئيسها حكومة عسكرية في البلاد وثم انتقل بحكومته إلى «كاماكورا». ووصول العسكريين إلى السلطة معناه إنهاء حكم الأمبراطور. وبالفعل حكم العسكر اليابان لمدة سبعة قرون. عادت بعدها السلطة إلى الأمبراطور أي في عام ١٨٦٨ م وهو بداية عهد الـ «ميجي».

لقد قسمت البلاد اليابانية إلى عدة مناطق، كل واحدة منها محكومة من قبل حكومة عسكرية وقد دخلت فيما بينها في حروب داخلية فيما بين القرن الرابع عشر والسابع عشر الميلاديين.

وكانت الحكومات العسكرية التي حكمت اليابان ولمدة طويلة سبب التمزقات الأساسية في الروحية اليابانية حتى الآن. فالظاهر على اليابانيين هو تميزهم بالأدب ولكنهم في داخلهم ليسوا كذلك وإنهم مستعدون لسحق الأعشاب الطرية في أي وقت عندما تسقط تحت أرجلهم. كما أن التنافس الشديد بين أصحاب الصناعات في الوقت الحاضر والخسائر التي تصاحبه ما هو إلاّ نتاج الحروب الداخلية السابقة.

في سنة (١٦٠٣ م) استقر الحال بالحاكم العسكري الديكتاتور من أسرة «توكوجاوا» في «إددو» أو ما يطلق عليها اليوم اسم «طوكيو» إلا أن الأمبراطور عاد مرة أخرى إلى كيوتو.

حكمت أسرة «توكوجاوا» العسكرية اليابان لمدة (٢٥٠) سنة وقد حفظت الأمن والاستقرار فيها كما أغلقت الأبواب أمام الأجانب خوفاً من غزوهم وخوفاً من انتقال ثقافتهم وصناعاتهم إلا أنه كان

هناك تسرب للثقافة والصناعات الغربية عن طريق الهولنديين الذين كانوا متواجدين بالقرب من ناجاساكي. ولقد كان الإعدام من نصيب كل واحد ساعد على إدخال أي شيء خارجي.

ويتصور البعض أن سياسة الانطواء والانزواء أدت إلى تعطش اليابانيين لأراضي الغير. إلا أن فترة الانزواء والانطواء التي امتدت لمدة ثلاثة قرون ظهرت فيها الفنون الجميلة وانتشرت الآداب والتصاوير خلالها مستفيدة من حالة الهدوء والاستقرار التي سادت الفترة بالإضافة إلى أن فترة الانزواء جنبت اليابان السيطرة الخارجية والتي كانت كثير من الدول الآسيوية تعاني منها.

ومنذ منتصف القرن التاسع عشر أصبح دخول السفن الأوروبية للموانيء اليابانية أمراً عادياً بسبب ضعف الحكومات الديكتاتورية الحاكمة في اليابان. ففي عام (١٨٥٣ م) قامت السفن التابعة للبحرية الأمريكية بقيادة الكومودور «بري ـ Perry» بالدخول إلى خليج طوكيو مما زاد في تدخل الشعب في السياسة الخارجية لليابان.

ثم نتيجة لحالة الانزواء وعدم رضا الشعب عن الحكومة العسكرية قام تحالف بين الإقطاعيين والعائلات الأمبراطورية ضد الحكام العسكريين. وفي عام (١٨٦٧ م) سلمت الحكومة، الخامسة عشرة العسكرية مقاليد السلطة للأمبراطور. وبعد سنة، تسلم العسكر المشكلين من الطوائف الإقطاعية، والتي وافق على تشكيلها الأمبراطور، قصر «إددو» أو قصر طوكيو وليكون ذلك إيذاناً بانتهاء

سلطة العسكر والتي امتدت على مرار سبعة قرون من الزمن.

ويعتبر عام (١٨٦٨ م) عاماً مهماً بالنسبة لليابانيين وهو بداية أسرة أباطرة «ميجي» فيما بعد تم تجديد بناء قصر «إددو» وتحول إلى قصر «طوكيو» كما تم نقل العاصمة من كيوتو إلى طوكيو.

وعصر الميجي يعتبر عصر النهضة الياباني وقد توقع اليابانيون من هذا العصر الشيء الكثير. أولى الخطوات التي قام بها أباطرة الميجي هو الانفتاح على الخارج. كما استفاد اليابانيون من الانفتاح على الغرب في القانون والقوانين الإجرائية. وقامت الحكومة بابتعاث الطلبة للخارج بعد اختيار دقيق لهم وللدول التي ابتعثوا لها. فإلى بريطانيا ابتعث طلبة من أجل دراسة الفنون والقواعد الملاحية، وإلى ألمانيا من أجل دراسة الحقوق والطب إلى فرنسا من أجل دراسة فن النسيج الحريري. أما أول بعثة يابانية للولايات المتحدة الأمريكية فقد كانت في سنة (١٨٧٠ م) تحت إشراف الأمير «أواكورا» واستضافتهم بلدية سان فرانسيسكو. وبعد تناول طعام العشاء قدمت لهم ولأول مرة البوظة مما دفع بأحد اليابانيين إلى إخراج ورقة من جيبه وشكلها على شكل وعاء ليضع فيه شيئاً من البوظة لكي يتناولها فيما بعد في الفندق.

وبالطبع تعتبر فترة الميجي سابقة لا مثيل لها في اليابان في مجال اكتساب المعارف من الخارج كما لا تقاس بأي فترة زمنية أخرى اللهم إلا الفترة الممتدة ما بين القرن السادس والتاسع الميلاديين عندما دخلت الثقافة الصينية لليابان.

ومنذ بداية عام (١٨٦٨ م)، شمل العطش للعلوم الغربية كل اليابان وفي كل الحقول كما تعود اليابانيون على تقليد أي شيء يأتي من الغرب. مثال على ذلك تقليد اليابانيين للغرب في الاجتماعات الكبيرة المختلفة. إذ يحضر الرجال لابسين آخر موديل من اللباس وكذا النساء ليرقصوا تحت أضواء الشموع. وهذا فعلاً ما كان يحدث في طوكيو وفي أحد أنديتها. الحاضرون هم من سراة القوم أي من الطبقات الراقية والعالية.

وأغلب موظفي الدولة من ذوي الرتب العالية في عصر الميجي كانوا ممن يمتلكون شخصيات قوية ولديهم صلاحيات كاملة. وهؤلاء هم الذين قاموا بالتصويت على القانون الأساسي للبلاد والذي يعطي الأمبراطور صلاحيات مطلقة. وشيئاً فشيئاً وصلت تلك الصلاحيات إلى حد لا يمس بالنسبة للشعب كما أنها أصبحت مصدر ثبات لإدارة البلاد.

في عام (١٨٩١ م)، أصدر الأمبراطور مرسوماً عرف بـ «مرسوم التعليم» وينص على أن يتعلم الشعب الياباني النشيد الوطني كما أن على الطلبة في المدارس الابتدائية والمتوسطة أن يراعوا تنفيذه. بعد صدور المرسوم أمر وزير الثقافة كل مرفق تعليمي بأن يحتفظ بصورة للأمبراطور ونسخة من «مرسوم التعليم» كما ألزم كل احتفال وطني بقراءة النشيد الأمبراطوري.

وأتذكر عندما كنت صغيراً، شب حريق في إحدى المدارس الابتدائية والتي كانت بالقرب من بيتنا. ألسنة النيران امتدت إلى كل

بناء المدرسة فما كان من المدير إلا أن رمى بنفسه وسط لهيب النيران لكي يخلص صورة الأمبراطور من الاحتراق. بالطبع كتبت الصحف عن هذا الحدث واعتبرته تعبيراً عن حب الوطن والوفاء للأمبراطور.

وبهذا الشكل أصبحت الوطنية مذهباً بالنسبة لليابانيين كما اجتهدوا حتى صيروا بلدهم واحداً من بين الدول الكبرى في العالم.

وقد ربط رجال السياسة في بداية عصر الميجي بين الاستقلال العسكري وبين التقدم الإقتصادي واضعين نصب أعينهم الشعار القائل «أمة راقية.. جيش قوي». ولم يكن برنامجهم يتمثل في عملية تجديد المؤسسات الحكومية فقط وإنما امتد إلى تشكيل جيش قوي قائم على الخدمة الإجبارية كما طبق برنامج التعليم الإجباري على أفراد الشعب. وتم تجديد الصناعات ومن أجل تحقيق هذا الهدف تم استيراد الآلات من الغرب. لذا بعد إعادة الحياة إلى المؤسسات الحكومية، بدأت الحكومة في إنشاء مصانع نموذجية مثل مصانع الإسمنت وحلج القطن ومصانع إذابة الحديد وصناعة الفولاذ. كما استقدمت الحكومة المكائن من الخارج وباعتها لأصحاب المصانع بالأقساط وبالإضافة إلى ذلك قامت باستخراج المعادن بمساعدة المهندسين الأجانب. أما بالنسبة لوسائل النقل فقد قامت الحكومة ببناء خطوط السكة الحديدية جزئياً وحولت الباقي للشركات الوطنية لإتمامه على أن يكون تحت مراقبتها. واشترت الحكومة سفن خارجية من أجل تقوية الأسطول البحري التجاري. بعد ذلك قامت الدولة ببيع المؤسسات التي تحت إدارتها للقطاع

الخاص بأسعار بخسة ومن أجل ذلك تشكلت مجموعات مالية وصناعية كبيرة مثل مجموعة «زايباتسو». ما قامت به الدولة في هذا المجال قوّى المؤسسات الرأسمالية والتي كان لها الأثر فيما بعد في بناء وتوسعة القطاعات الصناعية والإقتصادية في اليابان.

لكن المبالغات في تطبيق السياسات الجديدة، خصوصاً في مجال إيجاد إقتصاد رأسمالي، كانت إلى حد ما غير صحيحة مما جعل اليابان تنهزم أمام الروس والصينيين بعد أربعين سنة من بداية عصر الميجيٰ. ومن أجل الاستمرار في شعار «أمة راقية. . جيش قوي» كان على اليابانيين أن يوظفوا إقتصادهم في سبيل بناء جيش قوي.

واليابان ستلعب دوراً عظيماً في المجال الصناعي والتجاري العالمي، مستقبلاً كما في الوقت الحاضر.

أما السياسة الخارجية اليابانية فإنها سوف تتأثر بالعوامل الإقتصادية. ولن تستطيع اليابان أن تلعب دور الدول العظمى في العالم بسبب عوامل أيديولوجية وعسكرية وعنصرية، إلا أن هذا سوف يكون في مصلحة اليابان من الناحية الصناعية. وسوف ترتقي المستويات المعيشية والرفاهية للشعب الياباني ولكن في بلد ضيق ومحدود الرقعة.

الفهرس

- مبادىء الرؤساء الامريكان
  سليم الحسني
- ذكرياتي ج١ ، ج٢
  للشاعر محمد مهدي الجواهري
- الجمهرة/ مختارات من الشعر العربي
  اختيار الشاعر محمد مهدي الجواهري

من منشورات دار الرافد ـ لندن

- خفايا عاصفة الرعب
  د. احمد حسن
- اليابان بدون نقاب
  اتيشيروا كاوازاكي
- ازمة القيادة في العراق
  احمد الزيدي

من منشورات مؤسسة العارف للمطبوعات
بيروت ـ لبنان

- العراق ـ الحاضر وآفاق المستقبل
  د. وليد الحلي
- اجنحة الانقاذ
  يوسف الشيخ
- الحركة الاسلامية المسلحة في الجزائر
  يحيى ابو زكريا
- من قتل محمد بوضياف
  يحيى ابو زكريا
- المشروع الحضاري الاسلامي
  حوار مع العلامة السيد محمد حسين فضل الله
- نواطير الغرب
  حسن السعيد
- الايام العشرة (رواية)
  فائق محمد حسن
- لمحات في تاريخ الحركة الشيوعية في العراق
  صلاح الخرسان